9me Année No. 415

Lundi - 16 - 6 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة التاسعة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٦ يونية سنة ١٩٤١ » العـــدد ٤١٥

الفهـــــرس

الزوجة المثـــلى

للأستاذ عباس محمود العقاد

وصلت إلىّ محاضرة العالم الفاضل الدكتور عبد المعطى خيال عميد كلية الحقوق بالأسكندرية فى موضوع « الزوجة المثلى » ، وهى المحاضرة التى اقترحتها عليه وزارة الشئون الاجتماعية ، وأذاعها الأستاذ فى منتصف الشهر الماضى ، وفيها يقول ما فحواه أن الآفة كلها هى : « حرص الشباب على المادة ، وجريه وراء الكسب ، وحطه من القيم التى خلفها السلف الصالح ومن قواعد الأخلاق التى كانت مقررة عندهم ، واكتفاؤه بالعاجل من اللذات »

وظهر العدد الماضى من « الرسالة » وفيه مقال صديقنا الأستاذ الزيات الذى يعقب به على خطاب السيدة « ليلى » ، وما رأته من أن السبب المباشر والمصدر الأول لمشكلة الزواج هو المادة ، وكان ختام مقاله : « إن المال إذا جعل غاية للزواج كان شقاء لمن وجدته ولمن فقدته على السواء ... »

وعندى أن المادة هى آفة العصر الحديث كله ، وفى عداد مشاكله الكبرى مشكلة الزواج . فالناس لا يتهالكون على المادة ولا على اللذة العاجلة إلا إذا قل إيمانهم بالحياة . ومن ثم يغلب الشح على الشيوخ والضعفاء ، كما يغلب على الشعوب التى ضاعت من أيديها السيادة وقيم الحياة العليا . فكل تهالك على المادة إنما

البيتية غير الذيائع الذى يسهل اقتناؤه فى الصغير والكبير من البيوت ، وهو وحده لا يغنى عن سائر الأفانين التى تتنوع فى محافل السهرات

فالبيت فى العصر الحديث مهدد الأساس ، ولا وقاية له من هذا التهديد إلا الإقلال من العواصم الكبرى وتشجيع الإقامة فى الريف ، وإلا تربية الذوق المستقل الذى يصعب انغماسه فى غمرة الجماهير ، وتربية الإرادة الفردية التى يهمها أن تنطوى على نفسها حيناً بعد حين ، ويعجبها أن تنعم بالعشرة الأخوية بين الصحب المتفاهمين والأقارب المتعاونين ، فوق إعجابها بضجة السواد وزحام القطيع

وليس ما نذكره هنا حلولاً لمشكلة الزواج ولا علاجاً حاسماً لآفات العصر الحديث ، ولكنه محاولة لفهم المشاكل على حقيقتها لا غنى عنها وعن أمثالها قبل الرجاء فى علاج ناجع ؛ إذ كل علاج لا يسبقه الفهم الصحيح يقع على غير الداء ، وقد يضاعف الأذى ولا يدنى من الشفاء

***

إلا أننا نعتقد أن الحلول جميعاً لن تخلى الزواج من عقدة مؤربة باقية على الزمن كله ، لأنها قائمة على طبيعة فى النفس الإنسانية لا يرجى لها تبديل كبير

تلك العقدة هى غرابة الأسرار الجنسية التى تدفع بالرجل إلى اختيار المرأة ، وتدفع بالمرأة إلى اختيار الرجل . فليس لزاماً أن يحب الرجل امرأة تستحق حبه ، أو تصلحه وتصلح أبناءه ، أو تجد فيه مزية كالمزية التى يجدها فيها ؛ بل يتفق كثيراً أن يترك المرأة التى تسعده ويتعلق بالمرأة التى تشقيه ، ويتفق كثيراً أن يهواها للأسباب التى توجب عليه اجتواءها والإعراض عنها . وشأن المرأة فى هذه الخليقة أعجب من شأن الرجل وأنأى عن الرشد ودواعى الاختيار المميز البصير ؛ فإن إخلاصها لمن يستحق منها الإخلاص أندر من إخلاصها لمن يفسدونها ويسيئون إليها ، وهى خليقة لها أسرار أعمق من عرف المجتمع وآداب الزواج وأواصر الأهل والأسر ، وليس بالميسور مع بقائها فى الطباع خلو الزواج من المشكلات

ولكن الطبيعة تهدينا إلى بعض الأسرار كما تخفى عنا كثيراً من الأسرار ، وحسبنا أن نقتدى بها فى أساليبها لننتهى إلى شىء فى هذا الباب خير من لا شىء . فإن أساليبها فى علاقة الجنسين تجرى فى نهجين مطردين لا يختلفان بين الإنسان وسائر الحيوان وإن اختلفت فى الحيوان العاقل بعض المظاهر والغايات

أول هذين النهجين هو مزج الواجب بالسرور ، فلا يخدم الإنسان النوع بإدامة النسل أو بالإصلاح والإرشاد إلا وفى خدمته سرور له يقويه على واجبه ويغريه باحتماله

وثانى هذين النهجين « التوريط » الذى يقيد الإنسان حين يريد الإفلات فلا يقدر على الإفلات ، لأن مصاعب النجاة من الحالة التى يعانيها أكبر من مصاعب الصبر عليها بعد وقوعه فيها . وخير الأمثلة على ذلك كفالة الأبناء ومتابعة السعى فى سبيل المجد من مرحلة إلى مرحلة ، وقد كان الساعى فيه يحسب أنه مستريح بعد المرحلة الأولى

وتلك هداية لا يعدم الفائدة من يتوخاها فى علاج جميع المشكلات

عباس محمود العقاد

الاسلام والعلاقات الدولية

للأستاذ الشيخ محمود شلتوت
وكيل كلية الشريعة

— ٢ —

(ا) النظام الذى يسبق الحرب [1]

يقرر الإسلام أنه لا يصح بدء الحرب إلا بعد أن تتحقق روح العداء للمسلمين، وأنه يجب على المسلمين إذا تحققوا من ذلك أن يبلغوهم الدعوة

وشبيه بهذا مايسمى فى العرف الدولى الحاضر بالإنذار النهائى. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم لأحد قواده: «إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث»

وقد قال الفقهاء: «إننا بهذه الدعوة نعلمهم أننا لا نقاتلهم على أخذ أموالهم وسبى عيالهم، فربما يجيبون إلى المقصود من غير قتال، وقتالهم قبل الدعوة إثم يستوجب غضب الله»

(ب) النظام الذى يكون فى أثناء الحرب

لا يريد الإسلام من الحرب تنكيلاً ولا تخريباً، ولا يرضى للناس أن ينسوا فيها واجب الإنسانية من الرفق والرحمة ورعاية العدل والخوف من الله

وإنه ليأخذ المسلمين فى أثناء الحرب بآداب لو رعتها الأمم لخففت من ويلات البشرية وضمدت من جراحها

وقد يكون من الملائم لنا فى هذه الظروف التى جنّ فيها جنون العالم، وانفتحت فيها على الناس أبواب من الجحيم الذى صنعه الناس لأنفسهم، وأنفقوا فيه جهودهم وأموالهم وأفلاذ أكبادهم؛ قد يكون من الملائم أن نذكر شيئاً من تلك الآداب الإسلامية للحرب، ليعلم الناس أن هذا الدين دين الرحمة والرفق والعدل والصلاح:

١ — فالإسلام لا يجيز قتل المرأة ولا الصبي ولا الشيخ الفانى ولا المقعد ولا الأعمى ولا المعتوه؛ ولا يجيز قتل أصحاب الصوامع ولا الزراع ولا الصناع الذين لا يقاتلون

٣ — ولا يجيز المثلة ولا التحريق ولا قطع الأشجار ولا هدم البنيان إلا إذا بدأ بذلك العدو نزولاً على مبدأ المعاملة بالمثل «وجزاء سيئة سيئة مثلها» [1]

٣ — ولا يجيز الإجهاز على الجرحى ولا التحريق بالنار

وفى وصاياه صلى الله عليه وسلم لأحد قواده: «لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كبيراً هرماً، ولا تقطع شجراً مثمراً، ولا تخرب عامراً، ولا تعقرن شاة إلا لمأكلة، ولا تغرقن نخلاً ولا تحرقه» «وإن النار لا يعذب بها إلا الله»

ومن المأثور عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تقتلوا الذرية فى الحرب. فقالوا: يارسول الله: أليسوا أولاد المشركين؟ فقال: أوليس خياركم أولاد المشركين؟)

٤ — ويقرر الإسلام — تمشياً مع مبدئه من عدم محاربة غير المحاربين من النساء والأطفال والشيوخ والعجزة والدينيين — أنه لا يجوز تجويع الأمة المحاربة ولا منع المواد الضرورية للحياة عنها، وإن كان يبيح ذلك بالنسبة للجيش المحارب

٥ — ومن نظم الإسلام فى أثناء الحرب الدالة على السماحة أنه يبيح لأفراد وجماعات من الدولة المحاربة أن تتصل بالمسلمين وتدخل فى ديارهم، وتقيم فيها بعض الزمن وتزاول بها أنواعاً من المعاملات التجارية وغيرها فى عصمة شىء يعرف فى التشريع الإسلامى باسم الأمان

ويقرر به عصمة المستأمنين، ويوجب على المسلمين حمايتهم فى أنفسهم وفى أموالهم ما داموا فى ديار الإسلام. بل يذهب فى التسهيل عليهم إلى حد بعيد: ذلك أنه يمنحهم أنواعاً من الامتيازات، ويعفيهم من بعض ما ينفذه على المسلمين من أحكام، ولا يؤاخذهم إلا على الجرائم التى تهدد أمن الدولة وسلامتها، أو يكون فيها اعتداء على المسلمين ومن فى حكمهم

وقد توسع الإسلام فى هذا الباب توسعاً عظيما: فجعل لأفراد المسلمين حق إعطاء ذلك الأمان «يسعى بذمتهم أدناهم»، ولم يشترط

(١) مراجع هذا الفصل والذى بعده من كتب الحديث والفقه فى أبواب السير والمغازى والجهاد

(١) من الآية: ٤٠ الشورى

فى ذلك إلا ما يضمن على المسلمين سلامتهم كالتأكد من أنه ليس للمستأمنين قوة ولا منعة ، ولا يبدو عليهم مظاهر الركون إلى الفتنة أو التجسس على المسلمين . وليس معنى هذا أن الإسلام ينسى حق الإمام المهيمن على شئون المسلمين ، بل جعل له بمقتضى هيمنته العامة وتقديره لوجوه المصلحة إبطال أى أمان لم يصادف محله ، أو لم يستوف شروطه ، كما له أن يقيد أمان الأفراد ويمنع إقدامهم عليه

والأصل فى هذا المبدأ الذى تتجلى فيه روح السماحة على نحو لا يعرف له مثال حتى فى الأمم المتحضرة الآن قوله تعالى :

« وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه »(١)

والإسلام يبيح بهذا الأمان تبادل التجارة بين المسلمين والمحاربين ، وتبادل المنافع الأخرى فى الصناعة والثقافة وسائر الأعمال .

وهو لا يقيد المسلمين فى ذلك إلا بأن يحتاطوا لأنفسهم ودينهم ودولتهم ، ولذلك يحرم عليهم أن يبيعوا السلاح والذخيرة والخيل والعتاد الحربى إلى أعدائهم

وهو فى الوقت نفسه يهيئ بهذا الأمان فرصة للمستأمنين تمكنهم من تفهم حقيقة الإسلام وإدراك أغراضه عن كثب . ولقد كان للإسلام من ذلك وسيلة قوية لنشر دعوته وإيصال كلمة الله إلى كثير من الأقاليم النائية من غير حرب ولا قتال

ويقرر الفقهاء « أنه يجب على الإمام — إذا وقت للمستأمن مدة — ألا يجعل هذه المدة قليلة كالشهر والشهرين ، فإن فى ذلك إلحاق العسر به خصوصاً إذا كان له معاملات يحتاج فى اقتضائها إلى زمان طويل »

٦ — ومن تقاليد الإسلام فى أثناء الحرب رعاية الرسل الذين يقومون بالسفارة بينه وبين المحاربين وشدة الحرص على سلامتهم وتكريمهم والمحافظة عليهم حتى يعودوا إلى مأمنهم ، ورفض الاحتفاظ بهم ولو خلعوا أنفسهم من قومهم ، وفى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم شواهد كثيرة على ذلك من أروعها ما يرويه أبو رافع إذ يقول :

(١) الآية : ٦ من التوبة

بعثتنى قريش إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأتيته فوقع الإسلام فى قلبى فرأيت ألا أعود إليهم . فقلت يارسول الله : لا أرجع إليهم . فقال : إننى لا أخيس بالعهد ولا أحتبس البرد . إرجع إليهم ، فإن كان فى قلبك الذى فيه الآن فارجع إلينا

٧ — ومن تشريع الإسلام فى أثناء الحرب قاعدة معاملة الأسرى . أمر بالإحسان إليهم ، وعدم مسهم بأذى ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأسير : أحسنوا إساره . وقال أجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا به إليه

وقد حث القرآن الكريم على تكريم الأسرى عامة ، وجعل ذلك من البر الذى هو علامة الإيمان فقال جل شأنه فى التمدح بصفات المؤمنين :

(ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً)(١)

وخير الإمام بين إطلاقهم من غير مقابل ، وفدائهم على حسب ما يرى من المصلحة . وقد مَنَّ النبى صلى الله عليه وسلم وفادى بالمال وبتعليم الأسارى أبناء المسلمين الكتابة . أما استرقاقه صلى الله عليه وسلم أو إباحته للاسترقاق فقد كان مجاراة لحالة اجتماعية سائدة فى الأمم إذ ذاك . ولم يكن على وجه التشريع العام . وإنما التشريع العام فى ذلك هو قوله تعالى : (فإما مَنّاً بعدُ وإما فداء)(٢)

وإن فى التشريع القرآنى للأسرى على هذا النحو مع تصرف النبى صلى الله عليه وسلم ما يرشد إلى أن الإسلام يمنح الحاكم من الحقوق فى ظروف خاصة ما يستطيع به علاج المشكلات الواقعة من غير أن يكون ذلك تشريعاً عاماً يسرى حكمه على جميع الأزمان

٨ — وكما شرع الإسلام معاملة الأسرى على أساس من الرأفة والرحمة شرّع للغنائم على أساس من العدل والمساواة فقرر حق تملكها لمن حازها من المحاربين المسلمين وغيرهم فى ذلك سواء

(البقية فى العدد الآتى) محمود شلتوت

(١) الآيتان ٨ ، ٩ من سورة الانسان
(٢) الآية : ٤ من سورة القتال

عبد القادر حمزة باشا

للدكتور زكي مبارك

منذ عامين مات الشاعر محمد الهراوى فغلبنى الدمع بقوة وعنف ، على قلة ما تدمع العين لفراق الراحلين من المعارف والأصحاب ، وإنما كان ذلك لإيمانى بأن الهراوى صديق لا تغيّره الأيام ولا الليالى ، فهو ثروة ضاعت من يدى إلى آخر الزمان

وفى هذه الأيام مات الكاتب عبد القادر حمزة فعرفت من جديد كيف تكون غزارة الدمع حين يموت الصديق ، وكان عبد القادر صديقاً لا نظير له ولا مثيل ، كان أخاً نقىّ القلب ، عذب الروح ؛ وكان مثالاً نادراً فى حفظ الوداد بالمحضر والمغيب . كان دنيا باسمة من الأخوّة الروحية . كان كنزاً نزعته الأقدار من يدى ، فأنا لفراقه محزون إلى آخر الزمان

لم أفكر مرة واحدة فى الانتفاع بجاه عبد القادر حمزة باشا ، وكان رجلاً مسموع الكلمة عند من يملكون تصريف الأمور ، وإنما زهدت فى الانتفاع بجاهه لأصون ما بينى وبينه من الوداد عن شوائب المنافع الدنيوية ، وإن كان انتفاع الصديق بجاه الصديق أمراً لا يغض من أقدار الرجال

كانت صداقة عبد القادر حمزة جوهراً من أكرم الجواهر . كانت ذخيرة يدّخرها الحرّ لزمانه ، فما يبالى أين تقع الحوادث ، ما دام عبد القادر بخير وعافية . وهل أنسى أنى لم أكن أبالى حوادث الأيام لأنى كنت أعرف أن مكانى محفوظ فى جريدة البلاغ لأرجع إليه حين أشاء ؟

هل أنسى أنى أملك نحو عشرين خطاباً دبّجها بيده صديقٌ كريم يُعزّ القلم والبيان ؟

هل أنسى أن الصداقة التى جمعت بينى وبينه لم تكن إلا نتيجة لعداوة أثرتها فى وجهه بصدق وإخلاص ، وكان رحمه الله من أهل الصدق والإخلاص ؟

لاحظتُ مرة أنه لا يستريح لبعض ما أكتب فى جريدة البلاغ وكانت تناصر الوفد المصرى وأنا أناصر الحزب الوطنى ، فكتبت إليه أستعفيه من الاشتراك فى تحرير البلاغ ، بحجة أنى لا أستبيح الانتفاع بخزينة ليس مبدؤها من مبدئى ولا هواها من هواى ، فكتب إلىّ رحمه الله يقول :

« أكتب ما تشاء ، وخزينة البلاغ تحت تصرفك »

فإن راجعتم « البلاغ » لذلك العهد ورأيتم فيه أشياء لا تنسجم مع سياسة « البلاغ » فاعرفوا أنها من قلمى ، القلم الذى تمرّد على صاحب « البلاغ » ليظفر بمودة صاحب « البلاغ » وكان الصدق أعظم وسيلة لغزو ذلك القلب الأمين

لن ينقضى حزنى لفراق عبد القادر ، ولن أنسى جميله أبداً

ولو أن قلمى استطاع الاستشهاد بجميع ما قال الشعراء فى الرثاء ، لما كان فى ذلك ما يصوّر فجيعتى فى « الصديق الذى وصل جناحى ، وراش سهمى » على حد التعبير الذى قدّمت به إليه كتاب « ذكريات باريس »

صحبت عبد القادر نحو خمسة عشر عاماً ، فلم أره إلا جذوةً من الأقباس الروحية . ولو أنى قضيت هذه المدة مع عدو لتحول إلى صديق ، فكيف تروننا صرنا — وقد قضينا هذه المدة فى إخاء وصفاء ؟ كيف تروننا صرنا وقد كان التعاون الصادق أساساً لما بينى وبينه من وداد ؟

كان عبد القادر فى أعوامه الأخيرة يعتب علىّ أشد العتب ، لأنى لا أمر بداره للسؤال عنه وهو مريض ، وكنت أعرف كيف أعتِبُه فأقول : سألت عنك فى « البلاغ » ، وأنا لا أعرف لك داراً غير دار « البلاغ »

فمن يعزّينى وقد ضاع حظى فى عيادة ذلك العليل النبيل ؟

من يعزينى ولم أسمع بموت عبد القادر إلا بعد أن فُضّ مأتمه فلم أشترك فى حمل نعشه ولم أقبّل جبينه قبل أن يوارَى التراب ؟

من يعزينى فى أخٍ كان لى وكنت له عوناً على الشدائد والخطوب ؟

التفتُّ مرة ، فلم أر غيره فى سنة ١٩٢٨ ؛ والتفتَ مرة ، فلم يرَ غيرى فى سنة ١٩٣١ ، فإلى مَن ألتفتُ إذا دجت الخطوب وبينى وبين عبد القادر بُعدُ ما بين الأحياء والأموات ؟ !

مات عبد القادر ، مات أخى ، فمن يعزينى ؟

مات الرجل الذى لا يكذب ولا يغدر ولا يخون

مات الرجل الذى شهد خصومه بأن موته كان نكبة وطنية
مات عبد القادر ، مات أخى ، فمن يعزينى ؟ !

لو كان شقُّ الجيوب من شمائل هذا العصر لشققتُ جيوبى ، فلم يبق إلا أن أشق قلبى حزناً على عبد القادر ، وإنه بذلك لخليق . وهل من الكثير أن يصرعنى الحزن وقد فقدت صديقاً كان أعظم الذخائر فى دنياى ؟

وهل فقد الناس مثل مَن فقدتُ فى قديم أو حديث ؟

دلونى على صديق فى مثل أخلاق عبد القادر ، ليخفّ عتبى على الأقدار التى أطفأت نوره الوهاج ولم يَعدُ الثالثة والستين ؟

دلونى على صديق لا يثور علىَّ ولا أثور عليه ، وإن أسرفت الحوادث فى إفساد ما بين الأصفياء

أمثلك يموت ، يا عبد القادر ، وكان روحك بشير الخلود ؟

نعاك الناعون وبكاك الباكون ، يا عبد القادر ، وأنا وحدى أحمل من رزئك الأثقال ، لأنى أول وآخر من ظفر بثقتك الغالية ولأنك أول وآخر من وثقت بهم بلا تحفظ ولا احتراس

ما أحرَّ وجدى لفراقك ، يا أخى وصديقى !

وما أشقانى لبُعدك ، يا أصدق من عرفت بين أحرار الرجال !

أخى وصديق :

أظلم نفسى وأظلم الحق إذا قلت بأن الدنيا لم تعرف رجلاً فى مثل شمائلك ، ولكنى أظلم نفسى وأظلم الحق إذا قلت بأنى عرفت فى حياتى صديقاً أنفع منك ، وكنت وحدك الرجل الذى أقنعنى بأن للصداقة مكاناً بين أطايب الوجود

أنا حزين لفراقك ، يا عبد القادر ، حزين ، حزين

وإن امتد الأجل ، فسوف أجزيك وفاء بوفاء ، وإخلاصاً بإخلاص .

أما بعد فما أحب أن يشغلنى بكاء هذا الصديق عن شرح بعض الشمائل التى صار بها رجلاً يضر وينفع ، ففى ذلك توجيه يستفيد به الناشئون من أبناء هذا الجيل

عرفت عبد القادر أول مرة — معرفة أدبية لا شخصية — عن طريق ما كان يكتب فى « الأهالى » سنة ١٩١٩ ، وكانت جريدة صغيرة الحجم ، ولكن أسلوبه فى تحريرها كان يجعل منها جريدة قوية لا يستغنى عنها من يحرص على غذاء العقل والوجدان

ثم كانت « الأهالى » سميرى وأنيسى فى وحشة الاعتقال ، لأنها كانت تساير جريدة « الأمة » لسان الحزب الوطنى فى ذلك الوقت ، ومن لم ير كفاح « الأهالى » و « الأمة » فى محاربة « مشروع ملنر » فليس من حقه أن يتوهم أنه شهد صيال الأقلام فى خدمة القضية المصرية

كانت هاتان الجريدتان تصدران فى الإسكندرية ، وكان المعتقَل الذى صرنا إليه بعد معتقَل قصر النيل يقع بضاحية « سيدى بشر » وكان قبل وصولنا إليه معموراً بجماعة من أسرى الألمان فى الحرب الماضية

فى تلك المدة فُتِنتُ فتنة شديدة بالمحصول الذى يصدُر عن « الأمة » و « الأهالى » ؛ فكان الجدل لا ينقطع بينى وبين إخوانى من المعتقلين حول ذلك المحصول الجزيل ، لأن المعتقلين كانوا ينقسمون إلى معسكَرين : معسكر الحزب الوطنى ومعسكر الوفد المصرى

فلما قضى الله بانتهاء كرب الاعتقال كان أول همى أن أزور الأستاذ محمد الههياوى رئيس تحرير « الأمة » والأستاذ عبد القادر حمزة رئيس تحرير « الأهالى »

وفى جريدة الأمة لقيت فقيد الوطنية عبد اللطيف الصوفانى بك فحيّانى والدمع فى عينيه ، وقدّم إلىّ خمسة جنيهات لأقضى بها فى الإسكندرية أياماً أنسى بها متاعب الاعتقال ، فما دخلت الإسكندرية أول مرة إلا فى سيارة مقفلة من سيارات الجيش الإنجليزى وفى ظلمات الليل

ومضيت إلى جريدة الأهالى فرأيت فيها الأستاذ عبد القادر حمزة ، ورأيت فى صحبته رجلاً بسّاماً هو الأستاذ محمد أبو العزّ ، وفتًى عبوساً هو الأستاذ أحمد سعيد

وفى أوائل سنة ١٩٢١ دعانى الصوفانى بك لرياسة تحرير جريدة « الأفكار » وكنت من محرريها قبل الاعتقال ، فبذلت ما بذلت من الجهود فى تأييد الحزب الوطنى ومقاومة الوفد المصرى ؛ ولكن الأقدار لم تمهلنى فى رياسة تحرير الأفكار غير

عام وبعض عام . فقد اتفق الصوفانى بك مع الأستاذ عبد القادر حمزة اتفاقاً يقضى بأن تصبح الجريدة « وطنية وفدية » واشترط الأستاذ عبد القادر شروطاً كان أهمها أن يكون حرّ التصرف فى اختيار المحررين . واشترط الصوفانى بك أن يكون للحزب الوطنى محرر يعتمد عليه فى رعاية ما يهم الحزب من دقائق الشؤون ، وكان ذلك المحرر هو زكى مبارك . وقَبِل عبد القادر هذا الشرط وفى نفسه أشياء ، ومن أجل هذا لم يسمح بأن أنشر فى الأفكار غير مباحث أدبية لا تقدّم ولا تؤخر فى السياسة الحزبية ! !

ثم فوجئ عبد القادر بأن لى نشاطاً صحفياً يغيب عن عينه الواعية ، وهو مقالات كنت أرسلها إلى جريدة « الأمة » بإمضاءات مختلفات ؛ فأدرك أنْ لا أمل فى أن أسير كما يسير ، وأنى لو وجدت مسدساً لصوّبته بلا ترفق إلى صدر سعد زغلول !

عندئذٍ بدا لعبد القادر أنه يصاحب شاباً له أهداف ، فوثق بى ، وأخذ يحاول تبديد ما بينى وبين الوفد من بغضاء ، وتلطّف فدعانى إلى الاشتراك فى تحرير البلاغ عند ظهوره فى أوائل سنة ١٩٢٣ . ولكنى رفضت بحجة أن هواى لن يزال مع الحزب الوطنى

ولكن عبد القادر لم ينسنى ؛ فكان يدعونى من وقت إلى وقت لتحرير بعض المباحث الأدبية والاجتماعية . ثم دعانى للاشتراك فى تحرير (البلاغ الأسبوعى) ؛ ثم رأى أن أكون مراسل البلاغ فى باريس حين مضيت لطلب العلم فى السوربون ، ثم وصلت به الثقة إلى أبعد الحدود ، فدعانى لرياسة تحرير البلاغ فى سنة ١٩٣١

فمن أراد أن يعرف بعض الشمائل التى رفعت عبد القادر حمزة فليذكر أنه كان يحترم أصحاب المبادئ ولو كانوا من خصومه الألداء ، فالعنف الذى وقع بينى وبينه كان سبب تآخينا وتصافينا ، ومن أجل هذا كان ينشر مقالاتى بلا مراجعة ، ولو عارضت سياسة (البلاغ)

وهنا نادرة تستحق التسجيل ، لما فيها من الدلالة على قوته الخُلُقية :

فى سنة ١٩٣٧ تعرّض البلاغ لأزمة مالية قضت بتخفيض مرتبات المحررين وإعفاء من يجوز عنهم الاستغناء ، ونظرتُ فرأيت مرتبى لم يُخصم منه شىء ، فكنت أتثاقل عن طلبه ، ولكن إدارة البلاغ كانت تلاحقنى فترسله إلىّ بدون تسويف

وقدّرتُ فى نفسى أن عبد القادر يستبقينى بالرغم من تلك الأزمة المالية ، فأطعت أصدقائى من الوفديين ونقلت صحيفتى الأدبية إلى جريدة « المصرى » وكان بينها وبين « البلاغ » ضغائن وحُقود . ولما سألنى عبد القادر عن السبب أجبت بأنى لا أرى رأيه فى نشر ما كان ينشر من « فضائح الوثائق » ولم أذكر السبب الصحيح وهو رغبتى فى إعفاء البلاغ من مرتبى فقد كنت أخشى أن أجرح عزة نفسه لو اقترحت العمل فى البلاغ بالمجان ، وكذلك ظلمت نفسى لأكرم صديق بدون أن أدله على حقيقة ما أريد

وتحدث الناس بأن زكى مبارك عق صاحب البلاغ . فهل التفت صاحب البلاغ إلى أحاديث الناس ؟

هيهات . فما تغيّر عبد القادر ولا تبدّل ، وإنما ظل أخاً وفياً إلى أبعد حدود الأخوة والوفاء

من يعزينى فيك يا عبد القادر ، ومن يواسينى وقد غاب عنى وجهك المشرق الجميل ؟

ثم ماذا ؟

ثم كان عبد القادر رجلاً يستعد للدهر والأيام أكمل استعداد . كان يدرك أن الرجل لا ينجح إلا إذا تسلح بقوة العزيمة وقوة النفس . فكان يقضى ليله ونهاره فى تدبير وسائل الحياة لجريدة البلاغ . وقد حدثنى مرة أنه يحب أن يعيش صحفياً ويموت صحفياً ، وأنه يشتهى أن ينقل لأبنائه هذا الميراث ، ولم يحس أحد مدلول كلمة « المستقبل » بقدر إحساس هذا الفقيد النبيل

عاش عبد القادر فى متاعب جِسام ثِقال . فقد كان يعادى بعنف ، ويصادق بعنف ، ومن أجل هذا كانت حياته سلسلة من الآلام والآمال ، والعواطف العنيفة تزلزل بنيان الجسد فتسوق إليه الموت قبل أوان الموت

وكان عبد القادر على قوته الصحفية يحترم حياة التأليف ،

لأنه أبقى على الزمان ، فكان يقضي أوقات فراغه وهي قليلة في استقصاء حوادث التاريخ ، ولو قال قائل بأن عبد القادر هو أصدق مؤرخي مصر في القديم والحديث لما اتهمه أحد بالمبالغة والإغراق

وكان عبد القادر يحب أن تكون جريدته مَعرِضاً لجميع الآراء ، ففي صفحات البلاغ أثيرت مشكلات ومعضلات هي أقوى وأصدق ما صدر عن العقول والقلوب ، وفي ميدان البلاغ تساول المئات من أقطاب الفكر والبيان

وكان عبد القادر حر العقل ، فلم يتذوق في حياته طعم البهلوانيات الشعبية ، ولم يقهم إلا أنه مسئول أمام العقل ، ومن هنا كانت جريدته أصدق صحيفة صانت النضال السياسي من أوضار التبذل والإسفاف

قالت جريدة المصري وهي خصم شريف :

« فقدنا زميلاً نساوله إذا اختلفنا ، ونناضله إذا احتدم النزاع »

وأقول إن النضال العف النزيه سوف يستوحش لغياب عبد القادر ، وسوف يذكر خصومه أنهم فقدوا رجلاً كانت خصومته من علائم التشريف

إن جريدة المصري تكافح كفاح الأبطال في إعزاز الصحافة المصرية ، فهل يدري صاحبها ومحرروها أن صاحب البلاغ كان السابق إلى رفع قواعد هذا البناء ؟

ذهبت جريدة المؤيد ، وبقي « بار المؤيد »

وذهبت جريدة اللواء ، وبقي « بار اللواء »

فهل نضمن بعد اليوم أن يبقى « المصري » و « البلاغ » شاهدَين على قوة العقلية المصرية في البلاد المفطورة على حب الخلود ؟

ثم أما بعد فأنا أشعر بأني لم أوفِّ عبد القادر بعض ما يستحق من صادق الرثاء ، لأني واجهت الموضوع وأنا في حزن يبلبل الروح ، ويقلقل البيان

ولن يكون هذا آخر العهد يا عبد القادر ، فسوف أشغل نفسي بتأريخ مواهبك السامية ، بعد أن تذهب كروب الحرب ويلتفت الناس إلى الحديث عن أكابر الرجال

زكي مبارك

عهد ... وعهد
مقارنة وتعليل
للأستاذ محمد محمد المدني

لا أقارن بين عهد الأستاذ الأكبر المراغي، وعهد الأستاذ الأكبر الظواهري، فإني امرؤ مراغي بروحه وقلبه وقلمه، أخشى أن يؤثر ذلك في حكمي فأحيد عن الإنصاف!

ولكني أقارن بين عهد وعهد كلاهما للأستاذ الأكبر المراغي، وتلك مقارنة مأمونة النتيجة على كل حال، فسيرجع إليه فضل أحد العهدين مهما أخذ على الآخر!

العهد الأول

إني أعود بذاكرتي إلى العهد الأول للأستاذ الأكبر المراغي فأرى روحاً طيبة ترفرف في أجواء الأزهر: هي روح المصلح الأمين الذي وضعت فيه الأمة ثقتها، وعلق عليه المفكرون آمالهم. هي روح المصلح الجريء الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا يصرفه عما يرى من الإصلاح اعتبار من الاعتبارات؛ هي روح المصلح الغيور على دعوته، المدافع عنها دفاع الأسد المصور بكتسح العقبات، ويقتلع العراقيل، ولا يفرى فريّه أحد! هي روح قوية غلابة متوثبة إلى الإصلاح، غيورة عليه، صريحة في أمره؛ تقهر العقبات ولا تقهرها العقبات، وتتحكم في العيوب ولا تتحكم فيها العيوب!

هي روح جريئة تثير في الأزهر معركة إصلاحية جامعة حامية الوطيس هي أشبه بثورة عنيفة على الفساد في أي لون من ألوانه: على الجمود والكسل، على الجهل والتقليد، على الجحود والكفران، على الرجعية البالية المتيقة التي تتعصب على الحق، وتنفر من حكم العقل، وتعيش في ظل الأوهام!

***

تولى الأستاذ الأكبر المراغي مشيخة الأزهر للمرة الأولى ولم يكن قد داخل الأزهريين، ولا عاش في جوهم، ولا ابتلى بأساليبهم؛ ولكنه كان مع ذلك بصيراً بعيوب الأزهر وطرق إصلاحه كالطبيب الحاذق يعرف الداء ويصف الدواء

فما هو إلا أن ألقيت إليه مقاليده حتى مضى قدماً في طريق الإصلاح، لا يلوي على أحد، ولا يبطئ به شيء، بل كان له في ذلك نشاط عظيم، جعله يسبق القوانين أحياناً فينفذ مشروعاته قبل أن تصدر

ولقد رج الأزهر يومئذ رجة عنيفة هي الرجة التي تصاحب دائماً عهود الثورة، وتغرى المصلحين بالمضي في طريقها غير ناكصين، ومن يتتبع خطواته في الإصلاح يجدها خطوات واسعة موفقة يرجع إليها الفضل من غير شك في كثير مما يتمتع به الأزهر الآن من خير؛ فقد أعد قانون الأزهر الذي يسير عليه الآن، وأعد مشروع بناء كلياته ومعاهده ومكتبته ومساكن طلابه على نمط سيكون به للأزهر إن شاء الله مدينة جامعية محترمة، وأنشأ قسم الوعظ والإرشاد ففتح بذلك للأزهر وللأمة وللدين ألواناً من الخير والصلاح ليس ينكرها أحد، ووضع أساساً جيداً لمجلة راقية - فيما كان يرجو - تصدر باسم الأزهر، فتنشر بين الناس ثقافته، وتعلن في مشكلات الحياة رأيه، وتهدي الأمة إلى أقوم السبل في دينها ودنياها، وأدخل في مناهج التعليم بالأزهر علوماً وكتباً ما كان الأزهريون من قبل يعرفونها، ورسم في كل ناحية من نواحي الإصلاح خطة جامعة جريئة؛ ونجح إلى حد ما في إصلاح نفوس الأزهريين، وفي كبح جماح العناصر الفاسدة المقاومة لفكرة الإصلاح، وفي توجيه المستعدين للعمل نحو النشاط والانتاج!

وابتدأ الحظ السعيد يبسم للأزهر، وشهد التاريخ كيف أخذت هذه الجامعة الكبرى بأسباب النهوض والتقدم، ودلفت إلى طريق المجد والعظمة؛ وآمن الناس بأن للأزهر وجوداً، وبأن في الأزهر حياة!

ولكن الزمان لم يلبث أن استدار وتجهم، كأنما نفس هذه السعادة أن ترف على الأزهر ظلالها، فإذا الشيخ الأكبر يترك منصبه ولما يزل غرسه محتاجاً إلى التعهد والرعاية: خرج يومئذ من الأزهر خروجاً مفاجئاً لم يكن الناس يتوقعونه، ولكنهم عرفوا فيما بعد

أسبابه . وليس صحيحاً ما ذكره « عالم » في الرسالة[1] من أن كثرة الأزهريين هي التي وقفت في سبيله وألجأته إلى ترك منصبه ؛ فكلنا يعرف الأسباب الحقيقية التي من أجلها ترك الأستاذ الأكبر منصبه المظيم ؛ وكلنا يعرف أن الأزهريين كبارهم وصغارهم ظلت أعناقهم له خاضعين ما دام في الأزهر ، حتى إذا اعتزل منصبه نبح عليه قوم وتصايحوا ، وأخشوا من بعد في القول وجاءوا بإفك عظيم !

العهد الثاني

عاد الأستاذ الأكبر المراغي إلى منصبه بعد الثورة الأزهرية المعروفة ، وترقب الناس جميعاً أن يتم من آيات الإصلاح ما بدأ ، وأن تعود إلى الأزهر روح « المراغية » القوية التي كانوا يعهدونها من قبل ، وأن تتلاحق في كتاب الأزهر الخالد — بعد مقدمته التي كتبها في عهده الأول — فصول مشرقة الصفحات ، واضحة الأغراض ، سليمة الأساليب والمعاني ؛ ولكن الأيام توالت ، والشهور تتابعت ، والأعوام تلاحقت ، ولو شئت لقلت إن حالة من الانتكاس قد أصابت الأزهر ، وأن ريحاً من رياح الفناء توشك أن تهب عليه فتعصف به ، ولكني لا أحب أن أقول ذلك ، وإنما أحب أن ألتزم القصد في التعبير فأقول : إن الناس لم يروا من الإمام المراغي ما كانوا يرقبون

هذه هي الحركة الفكرية في الأزهر قد سكنت ريحها ، وخبت جذوتها ، وما زال الأزهر عاكفاً على كتبه يدور بها حول نفسه ، ويفني فيها زهرة شبابه ، وينقطع بها عن الناس ، فليس له اشتراك ذو قيمة في التشريع العملي للبلاد ، وليس له صلة محترمة بأوساط العلم والثقافة ، وليس له نشاط في إخراج كتب علمية أو أدبية كما يخرج الناس ، وليس لمجلته أي أثر في توجيه العقول والأفكار ، وإن كان لها أثر كبير في تشجيع الخرافات والأوهام !

وهذه هي الحركة الدراسية في الأزهر ، تشكو من تهاون الرؤساء وطغيان الطلاب ، وعدم قراءة المقررات ، وضعف المستوى العلمي ضعفاً يشغل البال ، ويقلق الأفكار

فما هو السر في ذلك كله ؟

إن الذي يلي شئون الأزهر رجل مؤمن بفكرته إيماناً يداخل قلبه ويخالط نفسه ، ويملك عليه جميع مشاعره : فهو حين يخطب يدعو إلى الإصلاح ، وحين يكتب يدعو إلى الإصلاح ، وحين يدرس يدعو إلى الإصلاح ، وحين يجلس إلى الناس يدعو إلى الإصلاح ، أليس في كل هذا دليل على أن فكرة الإصلاح قد تغلغلت في نفسه وأثرت في تفكيره ، ونطقت لسانه ، وأجرت قلمه ، وأنه حينما يدعو لها ، ويحض عليها ، إنما يلبي هتافاً من نفسه ، ووحياً من قلبه

ثم هو رجل لا يوزن وزانه في العلم والفقه وجودة النظر ، له في ذلك بحوث ومذكرات وآراء وقوانين وتوجيهات حقيق على تاريخ العلم أن يخلدها ، فليس كهؤلاء الدعاة الخلاة ، أفئدتهم هواء ، وصيحاتهم أصوات طبول جوفاء !

ثم هو رجل في يده سلطان الأزهر ، وتحت أمرته كل شيء فيه ، وللأزهر استقلال يغبط عليه لم تصل إلى مثله جامعة حديثة . وليس في الأزهريين بحمد الله من يستطيع إذا جد الجد أن يقف على قدميه ليناوىء حركة الإصلاح !

وهو بعد هذا كله رجل ذو جاه ومنزلة بين الناس ، يتمتع بين أولي الأمر وأصحاب السلطان بما لم يتمتع به أحد سواه من رجال الإصلاح : فالحكومة تحترمه ، والشعب يقدره ، ورجال الفكر والعلم يحبونه ، وولي الأمر — حفظه الله — يتوج هذا كله بعطفه ورعايته وتكريمه ، ويفد إليه في دروسه يحيط به رجال دولته وأفذاذ أمته !

فماذا بقي بعد ذلك ليمطل الإصلاح ، ويحول بين هذا الرجل العظيم وبين مَقْبوءٍ في التاريخ عظيم ؟ !

***

ترجع العوامل التي تحول بين الأستاذ الأكبر وبين تنفيذ برنامج الإصلاح الذي وضعه إلى نواح ثلاث :

١ — طبيعة الأزهر

(١) العدد الماضي ١٣٤ ص ٧٤١

٢ — أحوال الطلاب

٣ — السياسة العامة فى الإدارة

وليس من الخير أن نفصل كل هذه العوامل على هذا المنبر العام ، ولكننا نكتفى بالإجمال رعاية لمقتضيات الأحوال

١ — طبيعة الأزهر :

هناك نوع من الأعمال يكفى لكى ينجح المرء فيه أن يرجع إلى نفسه ، ويعتمد على ما يبذله شخصياً من جهود ، فالمؤلف يستطيع أن يعكف على مراجعه ، وينقطع إلى بحوثه وتأملاته ، ويبذل من فكره وعقله ما يستطيع أن يبذل ، فينتهى به الأمر إلى أن ينتج ، أو يسير فى طريق الإنتاج شوطاً يتناسب مع عمله وجهوده .

وهناك من الأعمال ما لا بد فيه من تعاون ، ولا تكفى فيه عبقرية العبقرى ولا جهد المجتهد ، فالمعلم لا يستطيع أن يفيد بعلمه كل تلميذ ، وإنما يفيد التلميذ القابل للتعلم ، المستعد للفهم ، الآخذ بالأسباب !

ومهمة المصلح كمهمة القائد من النوع الثانى ، فكما أن القائد مهما كان شجاعاً عبقرياً محنكا ، لا ينجح فى خططه إلا إذا أسعفه جيش له صفات ممتازة واستعداد حسن يكفلان تنفيذ خطته على الوجه الأكمل . كذلك لا ينجح المصلح فى إصلاحه إلا إذا كانت البيئة التى يعمل فى دائرتها مستعدة لتلقى تعاليمه ، غير متأبية بطبيعتها عليها .

والأستاذ الأكبر المراغى مصلح قد وضع خطط الإصلاح فأحسن وضعها ، ولكن طبيعة الأزهر تحتاج فى علاجها إلى صبر ومثابرة وحسن تأت وسعة حيلة ، كما تحتاج إلى انتهاز الفرص ، وبث الدعاوة للأفكار الصالحة ، وخلق القدوة وضرب المثل وتشجيع العاملين ومكافأة المنتجين . وكل ذلك يفعله الأستاذ الأكبر إلا تشجيع العاملين ومكافأة المنتجين : فهو حين يدرس يضرب للأزهريين بدراسته أحسن الأمثال ، ويعلمهم كيف يكون الإخلاص للعلم والاعتماد على الدليل والبرهان ، ووزن النظريات العلمية بقيمتها الذاتية ، لا بمنزلة أصحابها والقائلين بها ؛ وهو يحسن الدعوة إلى مبادئ الإصلاح وينتهز لها الفرص ؛ وهو يصابر الأزهريين ويحتال لهم ، ولكنه لا يعمل شيئاً يشعر به العامل أنه راض عنه ، ويشعر به المهمل أنه غاضب عليه . فالأزهرى الذى يعمل ليله ونهاره ويقوم بواجبه خير قيام ، كالأزهرى النائم الغافل الذى يعمل لإرضاء الرسميات وحفظ المظاهر فقط ، بل ربما كان للثانى من سنه أو من وسائله الخاصة ما يدفعه إلى الأمام دفعاً يسبق به العاملين . وقد كان من نتائج ذلك أن خيم الكسل فى كثير من النواحى ، وقتل النشاط ، وفترت حياة الأزهر العملية فتوراً صار مضرب الأمثال !

٢ — أحوال الطلاب

عاد الأستاذ الأكبر إلى منصبه فى ظروف يعرفها الذين يتابعون حركة الأزهر ؛ وقد أوحت هذه الظروف إلى طلاب الأزهر والمعاهد الدينية أن لهم يداً فى عودة الأستاذ الأكبر إلى منصبه ، لأنهم نادوا به ، وأضربوا من أجله ، وشردوا فى سبيل ذلك وأوذوا ، فهم إذن جديرون بأن يصيبوا حظهم من المكافأة ، وجديرون بأن تغمض العيون عنهم إذ يتخففون من وطأة النظام ويحاولون الإفلات من هيمنة الرؤساء والأساتذة ؛ وقد سارت سياسة الأزهر بالنسبة إليهم فعلاً فى طريق من شأنها أن تشجعهم على هذا الفهم وتؤكده لهم ، فقد ألفوا أن يطلبوا فيجابوا إلى ما يطلبون ، وأن يذنبوا فيغفر لهم ما يذنبون ، وأن يعاقبوا ثم تقبل فيهم شفاعة الشافعين ، واستباحوا أن يذهبوا إلى الإدارة العامة فى كل صغيرة وكبيرة متخطين رؤساءهم المباشرين ، فتراهم يقتحمون مكاتبها ، ويشغلون موظفيها ، ويدخلون عليهم من أقطارها ، ويتنادون فى أبهائها صاخبين لهم فيها ضجيج وعجيج !

ومن الإنصاف أن نذكر أن هذه الحالة ليست خاصة بالأزهر وحده ، وإنما هى حالة تصطلى بنيرانها المدارس المصرية جميعاً . فكلنا يعرف كيف تدخلت السياسة الحزبية فى نظم التربية والتعليم والامتحانات تدخلاً يراد به التقرب إلى الطلاب وكسب تأييدهم ، وكيف انبثت الفوضى فى كل شيء ، وطغت على كل شيء ، فليس الأزهر وحده هو المسئول عن هذا العامل ، ولا ينبغى أن يحمل عبؤه عليه من دون معاهد التعليم جميعاً ، ولكننا فيما يظهر قد سبقنا غيرنا فى هذه الناحية وبرزنا فيها تبريزاً حتى

أصبنا منها بطعنات في الصميم أساءت إلى النظام ، والإدارة والعلم والكتب والمقررات والامتحانات ، وإلى المستوى العلمي والخلقي إساءة فظيعة ، تحتاج إلى العمل السريع ، وإلى الحزم الصادق ، والعزائم المتكاتفة، إن كان لنا في بقاء الأزهر حاجة !

٣ — السياسة العامة

أرجو أن يسمح لي فضيلة الأستاذ الأكبر بأن أتوجه إليه في هذه الناحية بشيء من الصراحة ، فإن فضيلته يريد أن يسوس الأزهر سياسة قوامها إرضاء العناصر المختلفة فيه ، وإرضاء العناصر المختلفة في الأزهر أمر بعيد المنال إن لم يكن مستحيلاً ، فإن المرء لا يجد بيئة من البيئات قد تفاوتت في التفكير حظاً ولوناً وطابعاً كالبيئة الأزهرية ، والمصلح لا بد أن يكون جريئاً في إصلاحه ، صريحاً في مداواة العلل والأمراض ، وكلنا يعرف أن في الأزهر قوماً مؤمنين بالإصلاح ، وقوماً به كافرين ، وعنه معوقين ، كما أن فيه قوماً لم يتعودوا أن يؤمنوا بشيء أو يكفروا بشيء ، فإذا كان من سياسة المصلح أن يستعين بخصوم الإصلاح ، أو بالذين لا يدركون أغراضه ، ولا ينبعثون بطبيعة نفوسهم في طريقه ، أو لا تمكنهم أحوالهم وسنهم وتربيتهم من تطبيقه ، فإن الإصلاح من غير شك فاشل ، وأن الجهود التي تبذل في سبيله ، والأموال التي تنفق عليه ، ضائعة !

لا ينبغي أن تسيطر ظروف السن والأقدمية والأمر الواقع على كل شيء في الأزهر ، فيظل التعيين في المناصب الكبرى وقفاً على الذين كلوا من شدة الإعياء ، عن حمل الأعباء

لا ينبغي أن يغفل عند تعيين جماعة كبار العلماء ما بقي مغفلاً حتى الآن من رعاية النشاط العلمي والقدرة على الإنتاج والعمل وإقناع الناس بوجود الأزهر ؛ فقد كان الناس يعتقدون ، وحق لهم أن يعتقدوا ، أن عضوية هذه الجماعة مكافأة على طول العمر ، وتعويض للقعدة والضعفاء ، لا على الإنتاج والتأثير في حياة الأمة

لا ينبغي أن نستعين بالذين لا يؤمنون بإصلاح ولا يدينون بمبادئ ولا يحفلون بمثل عليا ، وليس لهم في الأزهر رسالة إلا التخزيل عن النهوض ، والتعويق عن التقدم ، بينما المتشبعون بالأفكار الإصلاحية القادرون على تحقيق مبادئها مبعدون عن تولي الأعمال العامة لاعتبارات لا يصح أن يقام لها وزن في نظر المصلح .

لا ينبغي أن يدخل في توزيع الأعمال أن ينتدب فلان من أجل فلان ، وأن يقصى فلان من أجل فلان، وأن يجتهد في تمثيل البلاد والأقاليم في كل عمل من الأعمال كأنها لجان عصبة الأمم !

لا ينبغي أن نرضى بالواقع المخجل في مجلة كمجلة الأزهر أجمع الناس على فساد إدارتها ، وضعف مستواها ، وانحرافها عن الطريق القويم الذي تقتضيه طبيعة رسالتها ، وأنها أصبحت طريقاً من طرق التكسب والتمييش وفتح البيوت ، وهي مع ذلك محمية من أن تقع على عيوبها عين فضيلة الأستاذ الأكبر ، ومن أن تصل الشكوى منها إلى مسامعه بوسائل يعتقد الناس أنها لا ترضيه !

لا ينبغي أن يكون في الأزهر امرؤ يضع الأستاذ الأكبر فيه ثقته ، ثم يعبث معتمداً على هذه الثقة بأمانة العلم أو العمل أو الإدارة أو النظام ؛ فإنه لا يسيء بذلك إلى نفسه فقط ولكنه يسيء أيضاً إلى من ائتمنه ووضع فيه ثقته !

سيدي الأستاذ الأكبر :

معذرة فقد استرسل القلم ، يملي عليه قلب لك مخلص وعلى عهدك غيور . فمض الطرف عما عسى أن يكون من الإسراف ، لما تنطوي عليه النفس من الإخلاص ؛ ولا تسمع فيّ وشاية الواشين ولا كيد الكائدين !

وفقك الله إلى ما يحبه لك أخلص محبيك

محمد محمد المدني

المدرس بكلية الشريعة

ألقاب الشرف والتعظيم

عند العرب

للأب أنستاس ماري الكرملي

— ٥ —

١٣ — الدقس وهو الدهيّة

الدقس وهو أيضاً : الدقوس والقدوس والعطوس والدعوس والدوقس . وكلها تعريب dux, ducis . قال الصاغاني : الدقس : الملك ؛ وقال الأزهري : الدقوس ، كصبور : الذي يستقدم في الحروب والغمرات كالقدوس (التاج)

وعندنا أن العرب كتبوها في أول الأمر : دقس كقفل ودُوقس بضم فواو وقاف ساكنتين فسين لتحقيق اللفظ الروى أو الروماني الأصل . ثم وقع فيها القلب والإبدال ، كما وقعا في كثير من الألفاظ المعربة ، بل في العربية نفسها ، فصارت : دقوس وقدوس . ولما كان بعضهم يقلب القاف عيناً ، صيّروا قاف دقوس عيناً ، فقالوا : دعوس كما قالوا القرناس والعرناس والقسوس والعسوس والنقل والنعل ، وفرق بين القوم وفرّع ، أي حجز ، إلى نظائرها

وأما عطوس ، فهو مقلوب دعوس ، بجعل الدال طاء من باب تفخيم الحروف كما قالوا : مد الحرف ومطه ، ترياق ودرياق وطرياق (عن الجمهرة لابن دريد) . اختدفه واختطفه (التاج)

والدقس باللاتينية دليل القوم ورئيس الجيش وقائده ومقدم القوم والأمير والملك على حد ما قاله العرب . وكل ذلك من باب التوسع

وجاء في التاج في مادة (دع س) : « في النوادر : رجل دعوس ، عطوس ، قدوس ، دقوس : أي مقدام في الغمرات والحروب ؛ وحرفه الصاغاني فقال : « في العمل » بدل « في الغمرات » اهـ

قلنا : لا تحريف عند الصاغاني ، لأن الدقوس على ما نقلناه لك عن كلام الرومان هو دليل القوم في أي شيء كان في الغمرات والحروب ، كما في الأعمال والمبرات . فاحفظه

والظاهر أن كتبة عهد الخلفاء لم يعرفوا أن سلفهم عربوا الكلمة بالأوجه التي ذكرناها ، كما جهلها حملة الأقلام في عصرنا هذا . أما سفرة عهدنا فإنهم سموه (دوق) أي duc بقاف في الآخر.

وأما العرب الخلص فقد سموه (الثنيان) ، كما مر الكلام عليه في (البدء)

وأما أرباب اليراع في عصر الخلفاء ، فعرفوه بالدوك بكاف في الآخر . قال أبو شامة في كتاب الروضتين ، في ص ١٨٣ من طبعة باريس : « وكان فيهم مائة كند ، وثمانمائة من الخيالة المروفين ، وملك عكاء ، والدوك ، (وهو يريد به يومئذ دوك النمسة) ، واللوكات ، نائب الباب ، ومن الرجّالة ما لا يحصى » اهـ . أما دوك البندقية ، المسمى عند الإفرنج دوج doge ، فسماه العرب (دوك) أو (دوج) ؛ كما فرق الإفرنج بين الواحد والآخر ، مخصصين (الدوج) ، بمن يكون للبندقية ، إلا أن القلقشندي كتب الدوج بالكاف ، وصرح بأنها بالجيم كجيم doge الفرنسية المعروفة بالكاف المشوبة بالجيم ، أو الكاف المعقودة ، أو الجيم المعقودة . وهذه عبارته (صبح الأعشى ٥ : ٤٨٥) : « كل ملك منهم (من ملوك البندقية) يسمونه (دوك) ، بالكاف المشوبة بالجيم ، فيقال (دوك البندقية) ، وهذا اللقب جار على ملوكهم إلى آخر وقت » اهـ .

فانظر — حرسك الله — إلى كم صورة من الصور انتقلت كلمة dux اللاتينية ، فإنها بدت لك بأثواب مختلفة ؛ منها : دُقس ، ودَوْقس . ودُقوس . وقَدُوس . ودَعُوس . وعَطُوس . ودوق . ودوك . ودوج . ولعل ثم غيرها ونحن نجهلها إذ رأينا بعض المعربين عن الإنكليزية في عهدنا هذا يقولون (ديوك) ، و (ديوق) لأن الإنكليز ينطقون بها كذلك . فهذه إذاً إحدى عشرة لغة ، فتدبر !

على أن أبناء مُضر ، لو كانوا واقفين على كلام من تقدمهم من اللغويين البصراء ، لما احتاجوا إلى كل ذلك ، لأن عربيتها

والكلمة مركبة من (مَرْزَ) وهو حد المملكة وثغرها . ومن (بان) أى حافظ . ومحصلها (حافظ الثغر) كالمركيس سواء بسواء

ومن الغريب أن القاموس والتاج يذكرانها فى (رزب) ، وكان الأفضل أن تذكر فى (مرز) أو فى (م ر ز ب ا ن) لأنها تعتبر مركبة من صدر وعجز ، أى من (مرز) و (بان) أو تعتبر كلمة واحدة وجميع أحرفها أصولاً ، لأنها أعجمية ، وقد صرحوا مراراً لا تحصى أن أحرف الأعجمى كلها أصول . قال القاموس والتاج فى (رزب) :

« (المرزبة كمرحلة رياسة الفرس)[1] . تقول : فلان على مرزبة كذا . وله مرزبة كذا كما تقول : له دهقنة كذا . (وهو مرزبانهم بضم الزاى) : رئيسهم ، تكلموا به قديماً . كذا فى شفاء الغليل . وفى الحديث : أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم . هو بضم الزاى وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك ، وهو معرّب (ج مرازبة) وفى لسان العرب : وأما المرازبة من الفرس ، فمعرب . وقال ابن برى : حُكى عن الأصمعى أنه يقال : الرئيس من العجم : مَرْزُبان ومَرْزُبان بالراء والزاى وأنشد فى المعجم لبعض الشعراء :

الدارُ دَارَانِ : إيوان وغمدان
والملكُ ملكان : ساسان وقحطان
والأرض فارس والإقليم بابل والـ
إسلام مكة والدنيا خراسان

إلى أن قال :

قد رتب الناس جمٌّ فى مراتبهم
فمرزبانٌ وبطريق وطرخانُ

وقال المسعودى فى التنبيه والإشراف (ص ١٠٣ من طبعة الإفرنج) : « فأما المرزبان ، فهو صاحب الثغر ، لأن (المرْز) هو الثغر بلغتهم ، و (بان) : القيم . وكانت المرازبة أربعة : للمشرق والمغرب والشمال والجنوب كل واحد على ربع المملكة » وأما اللغويون المحدثون ، فذكروا المرزبان فى (مرز) أيضاً فهم كالشاء ، وقد قيل فى المثل : يا شاة أين تذهبين ؟ قالت : أُجَزّ مع المجزوزين ؛ أو كالفرار وقد قيل فيها : نَزْو الفرار استجهل الفُرارا

(له صلة)

الأب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

(١) ما كان بين قوسين فهو من كلام القاموس .

ذكريات السنين الخمس

عبد القادر حمزة باشا

للأستاذ محمود الشرقاوي

في قرب الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الإثنين ٤ يونيو لسنة ١٩٣٤ قدم إلى حيث كنا نشتغل بتحرير صحيفة أدبية أحد السعاة في جريدة « البلاغ » وطلب إلى أن أتوجه لملاقاة الأستاذ عبد القادر حمزة؛ وفي مساء ذلك اليوم لقيت لأول مرة ذلك الرجل الذي أحببته وأكبرته . وبدأت عملي محرراً معه في « البلاغ » خمس سنين

كنت قبل هذا التاريخ لا يفوتني شيء مما يكتبه عبد القادر حمزة . وكنت أجد في قراءته مثل ما يجد الشارب الذوّاق من كأس خمر معتقة؛ فلما اتصلت بيني وبينه الأسباب وخالطته بالعمل والعشرة زاد حبي له وزدت إعجاباً بشخصه

أما عبد القادر حمزة الكاتب والسياسي والمؤرخ، وعبد القادر حمزة المجاهد الصادق الجهاد في سبيل مصر والحركة الوطنية والدستور، وعبد القادر حمزة الخصم السياسي، فذلك كله ليس من شأني أن أكتب عنه اليوم لقراء « الرسالة » ؛ فقد كتب فيه وسيكتب كثيرون غيري . وسيكتب التاريخ عن هذا كله كلمة الحق

أما أنا فسأكتب شيئاً من ذكريات تلك السنين الخمس التي قضيتها في صحبة عبد القادر حمزة باشا صاحب « البلاغ »

***

كان أستاذنا عبد القادر رجلاً أميز ما ينفرد به من الخلق: الطيبة والتواضع وبساطة النفس والمنساد، ثم الانكفاف عن الناس وعفة القلم واللسان

في صباح يوم من صيف إحدى السنوات القريبة أراد المرحوم عبد القادر باشا أن يزور رجلاً من كبار رجال الدولة في ذلك العهد . وكان عملي في « البلاغ » يجعلني من ألصق الناس بذلك الرجل، فناداني الأستاذ عبد القادر وطلب أن أرافقه في زيارة ذلك العظيم ليشكره على أمر ما

فلما أخذنا أماكن جلوسنا في سيارة الأستاذ بدأت أحدثه عن ذلك العظيم، فقال إنه لا يعرفه إلا أقل المعرفة، وأنه لم يجتمع به سوى مرات قليلة في مناسبات مكتفياً بالتحية من بعيد، فتعجبت مما قال! كيف لا يعرف الأستاذ عبد القادر حمزة وهو من أبرز رجال المجتمع المصري ذلك الرجل الكبير من رجال الدولة ... !؟ وكان له في ذلك الحين شأن عظيم حتى في الأمور السياسية التي يشتغل بها صاحب البلاغ؛ ولكن هكذا كان عبد القادر حمزة قليل الأصدقاء قليل الخلطة بالناس منكفاً عنهم بما يستطيع

وفي ذلك الوقت نفسه كانت الخصومة السياسية على أشد عنفوانها بين البلاغ وبين حكومة يؤيدها صاحب المقام الرفيع النحاس باشا . وكانت صحف الوفد في ذلك الحين تذكر اسم عبد القادر حمزة مقترناً باسم ذلك العظيم الذي كنا نقصد زيارته، وأنهما يجتمعان في قصر عظيم آخر كان اسمه في ذلك الوقت أبرز الأسماء في ميدان السياسة المصرية المعارضة للنحاس باشا، وكان من كبار رجال القصر . فقلت للأستاذ عبد القادر: ولكن صحف الوفد تقول إنك تجتمع مع هذا العظيم في قصر فلان لتدبير المؤامرات لحكومة النحاس باشا . فأجاب الأستاذ بهدوئه العظيم: دعهم يقولون

ثم عرفت بعد ذلك أنه كان صادقاً حين قال إنه لا يعرف ذلك العظيم ولم يجلس إليه قبل تلك الزيارة

وكان الأستاذ عبد القادر حمزة رجل كفاح وجلد، عظيم الثقة بنفسه إلى حد عجيب

بعد هذا التاريخ بسنتين كان ذلك الصراع الهائل الجبار الذي سيبقى خالداً في تاريخ الصحافة المصرية، وخالداً في تاريخ السياسة المصرية كلها، ذلك الصراع الذي قام به عبد القادر حمزة وحده مواجهاً به ومتحدياً أقوى حكومة استندت إلى قوة الرأي العام المصري وإلى قوة البرلمان وإلى عزة النجاح في مفاوضة الإنجليز

وتوقيع معاهدة معهم، وإلى إلغاء الامتيازات الأجنبية وإنهاء سيطرتها . وكان عبد القادر حمزة يبدو لنا في ذلك الحين — وأنا أحد الذين عملوا معه في ذلك الصراع — كان يبدو لنا كمن يريد أن يمسك بأصابعه الخمس جبلاً شامخاً راسخاً صلداً فيفتته ويجعل منه تراباً مهيلاً

ولكن عبد القادر حمزة ظل يكافح في كل يوم وحده حتى نخر الجبل الشامخ الراسخ، ولم تهن عزيمته يوماً، ولم يفقد ثقته بنفسه على رغم ما لقي في ذلك من مؤنسات كانت تهد عزم الجليد

في أيام ذلك الصراع العجيب، كان يهيئ حملاته الصحفية ويرتبها بفكر منظم لا يستطيع أن يهيئه سواه

وكانت إحدى حملاته تلك تقوم على وثائق تثبت سوء اختيار الوزارة القائمة إذ ذاك لتوزيع الرتب والألقاب الملكية؛ وكفى الحصول على وثيقة تثبت أن واحداً من الذين نالوا رتب التشريف إذ ذاك من أصحاب السلوك السيء . واستطعت أن أنقل إليه الصيغة الرسمية لتلك الوثيقة من حفظي وقدمتها إليه وهو لا يكاد يصدق . ومرت الأيام والأسابيع ولم يبدأ حملته تلك ولم ينشر وثيقتي أو يشر إليها، حتى ظننت أنه لم يعتمد على ثقتي

ولكنه بعد وقت طويل بدأ ينشر وثائق تلك الحملة بعد أن هيأها فكره المنظم العجيب؛ وكانت وثيقتي واحدة من نظيرات كثيرات جعل منها عبد القادر حمزة عملاً من أعظم ما قام به صحفي في مصر : براعة وقوة وتوفيقاً

وهو في كل هذا الصراع القاتل لم ينس مرة واحدة عفة قلمه ولسانه في الخصومة . لا أذكر أني سمعت منه في ألد خصومه أعنف من هذه الكلمة : « هؤلاء ناس مضللون ! »

كان محرر « السينما والمسرح » في « البلاغ » في إحدى تلك السنين شاباً قليل الخبرة، ولو أنه طاهر النفس . فكتب عن إحدى الممثلات المصريات كلمة ذات وجهين أحدهما قبيح؛ وتحدثت هي في ذلك بالتلفون إلى عبد القادر باشا، وبعد لحظة دعا ذلك المحرر عنده، وعنفه أشد التعنيف، وأمر بفصله من « البلاغ » . وكان كثيراً ما يفعل ذلك معه ومع غيره ثم يعفو، ولكنه في هذه المرة لم يقبل فيه شفاعة شافع . ولم ير العاملون مع عبد القادر حمزة أنه غضب من شيء بمثل ما غضب في ذلك .

وكان من صفات عبد القادر حمزة أنه عنيف في حبه عنيف في بغضه، وذلك شأن صاحب القلب العظيم

ذلك الصراع الذي أشرت إليه بينه وبين خصومه في السياسة والحكم دام سنتين لقي فيها عبد القادر حمزة من العنت والجبروت ما يوهن عزائم جيش من الرجال الصامدين؛ وكان هو بين تلك الزعازع كالأشم الراسخ، لا تنال منه الرياح ولا الأعاصير، ولا يزيده العنت إلا عناداً . كنا نراه في « البلاغ » يزلزل أقدام خصومه في كل يوم . ثم هو يسير إلى حجرته صامتاً ويجلس إلى مكتبه صامتاً، ويكتب ويراجع ويصحح صامتاً، ويعود للعمل في المساء ممنا صامتاً، كأن هذه القيامة القائمة في مصر ليست منه ولا بسببه؛ وكان في أشد الأيام حلوكة وسواداً لا يني يقول : نحن قريبون من النصر . ولست أنسى ضحى ذلك اليوم وقد انتهى فيه صراع عبد القادر حمزة إلى نجاح فريد؛ وقد صعد ذلك الرجل الوقور على درج « البلاغ » متهلل الوجه غير صامت . بل كان يعلن إلى كل من يلاقيه في صوت قوي : لقد أقبل [....] ... !

ولا يزال في وعيي صوت عبد القادر حمزة إذ ذاك أحس فيه قوة القلب والنصر بعد كفاح طويل وبعد صبر طويل . ذلك قلب الرجل الذي هو قوي في بغضه قوي في حبه، وذلك هو كان في بغضه !

أما عبد القادر حمزة في حبه، فذلك شأن عجيب

في صيف سنة ١٩٣٨ كان المرحوم عبد القادر باشا مسافراً إلى أوربا، وكنت إذ ذاك في الإسكندرية؛ فذهبت لوداعه على الباخرة محمد على الكبير . وبقيت معه على ظهرها حتى أوشكت على الرحيل . ونظرت إلى وجه أستاذنا العظيم في تلك اللحظة القاسية — لحظة الوداع — وكان إلى جانبه أحد أولاده وقد وقف ينظر وكأنه يبكي، إلى أولاده الآخَر ومودعيه على الميناء . فلما

أوشكت الباخرة أن تسير ، سمعته يميل على ولده يقول : « إنزل يا محمود وروّح مع إخوتك من الشمس

وبعد قليل نزل ولده ونزلت . وقد أحسست فى ذلك الوقت أنه ما كان مشفقاً على ولده من حرقة الشمس وحدها ؛ بل كان مشفقاً عليهم وعلى نفسه حرقة تلك اللحظة القاسية ــ لحظة الوداع ــ فقد كان عبد القادر حمزة حين تحركت محمد على الكبير منحرفة إلى البحر وقد أخرج الركب أيديهم ومناديلهم يشيرون بها إلى مودعيهم وأحبائهم . كان عبد القادر حمزة أسرعهم جميعاً إلى التوارى وأقلهم إشارة وحركة

لقد كان يشفق على نفسه أن يطيل ساعة الوداع ، وقد كان قبل ذلك بقليل يسلّم على ولده ويده ترتعش ولا يكاد يبين من لفظه صوت

أما ذلك اليوم الذى ماتت فيه ابنته سعاد ؛ وأما تلك الساعة التى ذهبنا معه فيها نواريها التراب ، حين نزل معها إلى فجوة القبر وانحاز إلى ركن منه مظلم رطيب ، وأما حين هو يبكى كطفل ورأسه بين يديه لا يريد أن يترك ابنته ، على رغم أنه يغالب حزنه المظيم ونحن معه فلا يستطيع . أما ذلك اليوم وهذه الساعة من حزن عبد القادر حمزة وعصيانه أن يصعد من قبر فتاته وقد وسدت فى التراب .

أما هذا وذاك فشىء لا أنساه ولا أستطيع أن أكتب فيه

* * *

وفى شتاء سنة ١٩٣٨ — ١٩٣٩ — إنسلخت من تحرير البلاغ مخاصماً وفارقت أستاذى عبد القادر لأسباب ليست من العمل ولا من المال ، ولكنها أجل عندى من العمل ومن المال . وقد ظللت وسأظل أذكر عبد القادر حمزة فقد أحببته على الغيب والشهادة

رحمه الله وأجمل عزاءنا فيه وصبر جميل

محمود الشرقاوى

الفقيد العزيز

للأستاذ على شوقى

خلعتُ رداء الشباب الجديدْ ... وألبستُ تاجَ المشيب النضيدْ
وأصبحتُ نضواً مهيض الجناح ... وقد كنت آوى لركن شديد
وما شاب رأسى ولكنه ... ضحّى عنه ظلُّ الشباب المديد
فقل لعذولى مضت وانقضت ... ليالى التصابى وتلك العهود
وأنى فقدت الشباب العزيز ... ألا رحم الله ذاك الفقيد
وعدتُ من الحب خلو الفؤاد ... وما كنت أحسب أنى أعود
وحطّمت كأسي وأُنسيت أُنسى ... فلا اللهو لهو ولا الغيد غيد
وقطّعتُ باليأس حبل الرجاء ... وألقيت عنىَ تلك القيود
فما يستبينىَ سحرُ العيون ... ولا يطّبينىَ وردُ الخدود
وقلت لجفني هَناك المنامُ ... فيا طالما كنت تشكو الهجود
وقلت لقلبى اغتبط بالسلوّ ... فهذا الذى كنت منه تحيد
وجنّبت نفسى خداع المنى ... وتغرير شيطانهن المَريد
وكنتُ امرأً مولعاً بالجمال ... إذا ما انقضت صبوة أستعيد
على أننى كنتُ ذاك الوفىّ ... الشريفَ الأبىّ الأليفَ الودود
ولم آت بائقــةً فى الغرام ... تسلُّ علىّ لسان الحسود
وذلك أنى صحبت الليالى ... فأوحين لى سر هذا الوجود
وعلمننىَ كل ما ينبغى ... لمن يبتغى طول عيش رغيد
كما أننى قد خبرت الأنام ... ومارست إيعادهم والوعود
فما راقنى الوعد من صاحب ... ولا راعنى من عدوّ وعيد
وبتُّ من الناس فى راحة ... سواء قريبهمُ والبعيد
أعيشُ كما عاش ليثُ الشّرى ... وحيداً وهل ذلّ ليثٌ وحيد
يروح ويغدو على قُوته ... ويكفيه من قوته ما يصيد
أسيرَ الحياة طريدَ الممات ... ألا فاعجبوا للأسير الطريد
وما لامرئ لذة فى حياة ... إذا آذنت ناره بالخمود
فلا يستخفن عبء الحياة ... فعبء الحياة ثقيل يؤود
وإن يك قد زيد فى عمره ... فآية نقصانه أن يزيد
ولولا تكاليف هذى الحياة ... لما سئم العيشَ فيها لَبيد

على شوقى

نيابة بعض حروف الجر

عن بعض

للأستاذ الكبير (ا . ع)

كان لكلمة الشاعر الكبير الأستاذ محمد عبد الغني حسن (بالعدد ٤٠٩ من الرسالة) أثر بالغ في نفسي ، لأدبها الجم ، وإنصافها للحق

ولقد حدت هذه الكلمة التعقيبية على أن أتاحت لي موضوعاً طالما تمنيت أن أكتب فيه ، موضوعاً كثرت فيه وقفاتي في مجالس التعليم ، لما كنت أرى من إهماله وسوء فهمه وتشويه الغرض منه

هذا الموضوع هو (نيابة بعض حروف الجر عن بعض) . قال الأستاذ :

« أما قول الأستاذ الفاضل : إن الفعل (تفيأ) يتعدّى بالباء ، أو بنفسه كما صنع أبو تمام ، ولا يتعدّى باللام ، كما جاء في قصيدة (ميلاد نبي)[1] ، فهو قول نقبله على العين والرأس ولكني أضيف إليه أن تعدية هذا الفعل باللام ليست خطأ ؛ لحروف الجر ينوب بعضها عن بعض . »

هكذا أطلق الأستاذ هذا الحكم من كل قيد ، فيتوهم من هذا الإطلاق أن كل حرف من حروف الجر يجوز أن ينوب عن أي حرف آخر منها . وهو ما لم يقل به أحد من النحويين القدماء أو المحدثين . ولا يمكن أن يعتقده الأستاذ أو يقول به . وإنما هي عبارة شاعت على الألسنة ، وتناقلها الناس منذ بعيد من غير تأمل أو بحث

فلهذا أردت أن أوضح المقام بعض التوضيح ، وأن أكشف عن أسسه العامة وقواعده . ولستُ أدعي أني أضيف إليه جديداً ؛ فقد بسطه العلماء بسطاً ، وأفاضوا فيه إفاضة ليس وراءها من مزيد ، وإن كانوا قد أثاروا في خلافهم ومناقشاتهم عجاجاً استبهم وراءه بعض الحقائق أو أشكل

* * *

لما تدارس العلماء كتاب الله والشعر القديم ، منذ فجر النهضة العلمية الإسلامية ، فطنوا لأن بعض الأفعال والمشتقات التي تتعدى ببعض حروف الجر ، تؤدي معنى غير معناها الوضعي فعكفوا على تعليل ذلك ، وانقسموا جماعات ، وأشهرهم البصريون والكوفيون

فالبصريون يقولونْ : (١) إما يتضمن العامل معنى عامل آخر يتعدى بذلك الحرف ، كما في قوله تعالى : « وأحسن بي إذ أخرجني من السجن[1] » . فالفعل (أحسن) لا يتعدى بالباء ، فضُمِّن معنى (لطف) ؛ (٢) وإما بأن الحرف الذي تعدّى به العامل قد استعير لمعنى الحرف الذي كان ينبغي أن يتعدى به – استعارة تبعية – وذلك كقول طرفة :

وإن يلتق الحي الجميع تُلاقني
إلى ذروة البيت الكريم المصمَّد[2]

فقد استعيرت (إلى) لمعنى (في) ، إذ أن (تلاقني) لا يتعدى بإلى ؛ (٣) وإما بالشذوذ ، إن لم يتأت التضمين في العامل بشروطه أو الاستعارة في الحرف بشروطها . فليرجع القارىء إلى هذه الشروط في كتب البلاغة إن شاء

فأنت قد رأيت أنه لا نيابة لحرف عن حرف عند البصريين ، فليس للحرف معنى وضعي عندهم إلا معنى واحد

والتضمين قياسي على المختار من أقوال العلماء ، وعلى ما قرره « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » – وكذا الاستعارة في الحرف . فلنا إذاً أن نترخص فيهما ، وأن نراعي منهما في كلامنا من نظم أو نثر ما نشاء .

* * *

وأما الكوفيون فيقولون : إن بعض حروف الجر ينوب عن بعض بطريق الوضع : أي إن الحرف موضوع لأكثر من معنى واحد[3] ، فهو مشترك وضعاً بين جميع ما ورد له من

(١) في البيت :
متفرقين هناك . . . لم يتفيئوا لحيلة . . . أو يمسكوا بعنان

(١) وقال الكوفيون : إن الباء فيه للغاية ، وإنها نائبة عن (إلى) . فلا تضمين إذاً .

(٢) المصمد : الذي يصمد إليه ويقصد

(٣) وسبيل معرفة هذه المعاني تتبعها في المعجمات وكتب النحو المطولة

المعانى [1] ؛ فبعضها يكثر استعماله ، وبعضها يقل .. فيوهم وضع ذى المعنى القليل الاستعمال موضع الكثير أن هناك معنيين اشتمل عليهما العامل : فلا تجوّز عندهم فى الحرف . وإنما هى نيابة محضة

وهاك مثالاً موضحاً : فقد عد ابن هشام للباء أربعة عشر معنى ، منها الاستعلاء ، قال : (نحو : « مَنْ إنْ تأمَنْه بِقِنْطار » ، بدليل : « هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل . »)

فالعرب — على رأى الكوفيين — قد وضعوا (على) والباء لمعنى الاستعلاء . غير أنه فى (على) أكثر دورانا منه فى الباء . فاعتبرت (على) أصلاً فى هذا المعنى ، واعتبرت الباء نائبة عنها ، وإن كانت أصيلة فيه . فتأمنه بقنطار ، أى عليه .

* * *

ولكن من يتتبع الكتب التى توسعت فى الكلام على (نيابة بعض حروف الجر عن بعض) ، — ولا سيما المغنى — يجد فيها عراكا عنيفاً حول الشواهد التى جيء بها لذلك ؛ فهى بين أخذ ورد ، وجذب ودفع . فهذا يسلم بنيابة الحرف فى مثال ، وهذا يتأوله فيخرجه عنها بضروب من الحجاج والفلسفة النحوية . فسقطت بذلك فى هذا المعترك طائفة ليست بالقليلة من الشواهد ، كانت — لو أنها ظلت سالمة — تكون قوة لقياسية هذا الباب .

ولو أنى أنشأت أضرب الأمثلة لذلك من هذه الكتب ، لخرجت عما أنا بسبيله . ومن طريف ما يقال هنا أن سيبويه لم يعترف للباء إلا بمعنى واحد هو الإلصاق ، وخرّج عليه كل ما عدّوه لها من المعانى . وقال ابن عصفور : لو صحّ مجيء (إلى) بمعنى (فى) لجاز : زيد إلى الكوفة [2]

فأنت ترى كيف ضاقت بذلك دائرة النيابة فى حروف الجر حتى كانت من النوادر . وقد عبر ابن هشام عن هذا المعنى

(١) ولا ينافيه ذكر (النيابة) ؛ لأنهم لما رأوا هذا المعنى متبادراً من هذا الحرف أكثر من تبادره من الآخر ، حكموا بأن الآخر نائب ، وإن كان كل منهما يستعمل فيه حقيقة

(٢) وقد مثل المجوزون بقوله تعالى : « ليجمعنكم إلى يوم القيامة » وبغير ذلك .

فى (مغنى اللبيب) ، فى باب (التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين ، والصواب خلافها) . قال : [منها] قولهم : ينوب بعض حروف الجر عن بعض ؛ وهذا أيضاً مما يتداولونه ويستدلون به . وتصحيحه بإدخال (قد) على قولهم : (ينوب) . وحينئذ فيتعذر استدلالهم به ؛ إذ كل موضع ادعوا فيه ذلك ، يقال لهم فيه : لا نسلم أن هذا مما وقعت فيه النيابة . ولو صح قولهم لجاز أن يقال : مررت فى زيد ، ودخلت من عمرو ، وكتبت إلى القلم

فنيابة حرف من حروف الجر عن آخر عند الكوفيين ليست مسبْدة السبل ، كما قد يُظَنّ بادئ الرأي ؛ فإنه يجب لقياسيتها ألا تنبو عن الذوق العربي وأساليبه فى التعبير ، وأن يكون الحرف النائب قد جاء لمعنى الحرف المنوب عنه وضعاً كما قد فهمت مما مر بك

* * *

والآن فلنعد إلى بيت الأستاذ الذى كان مبعث هذا النقاش وقد رأيت أنه أجاب عن اعتراضى على تعدية (يتفيئوا) باللام بأنه ليس خطأ ... الخ . ويظهر أنه اعتبر اللام نائبة عن الباء [1]

ولم أر فيما لدىّ من المراجع أن اللام تنوب عن الباء ولكنهم قالوا بنيابتها عن (فى) ، كما فى قوله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » ، وكقوله : « لا يجليها لوقتها إلا هو » ، وكما فى قولهم : « مضى لسبيله »

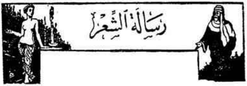
فعلى اعتبار أن اللام فى البيت نائبة عن (فى) لم يخطئْ الأستاذ فى تعبيره ، مهتدياً بسليقته السليمة ، وإن لم يَقصد إلى هذه النيابة عند إنشاء البيت

* * *

هذا ما أمكن إيجازه من هذا الموضوع الذى أرجو أن أكون قد وفقت للكشف عن وجه الصواب فيه

(ع . ا)

(١) قد ذكرت فى مقالى فى العدد ٤٠٧ من الرسالة أن (تفيأ) يتعدى بالباء وبفى ، وبنفسه أيضا كما جاء فى شعر أبى تمام . ولكن الأستاذ أغفل فى تعقيبه — سهوا على ما يظهر — عند نقله عباراتى ، أنه يتعدى بفى أيضا .



مُوسيقَى تائهة . . . !

« نانا . . . »

[مهداة إلى الروح المتمرد الحزين الذى حملت إلىّ الريح نجواه منذ ليال ، . . . ولا أدرى متى يعود !]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

اللَّيْــلُ يا « نانا »   وَالرِّيحُ يا « نانا »
سِرَّانِ مِنْ قَلْبِي ...
أقبلْتُ حَـــيْرَانا   وَعُدْتُ حَـــيْرَانا
مِنْ شاطِئِ الغَيْبِ

* * *

اللَّيْــلُ نَادَانِي   مِنْ عَالَمٍ ثانِ
وَقال : يا فانى   هَيَّجْتَ أحزانى . . .
إنْ كُنْتَ ظَمْآنا
أقبِلْ لِدُنْيَانا
وَاتْبَعْ خُطا « نانا »
وَاسْمَعْ صَدَى « نانا »
فاللهُ   سَوَّانا   لِلشِّعْرِ وَالْحُبِّ . . .
واللهُ   غَنَّانا   أنشودَةَ الْحُبِّ . . .

* * *

. . . اللَّيْلُ يا « نانا »   وَالرِّيحُ يا « نانا »
سِرَّانِ مِنْ قَلْبِي ...

* * *

وَالرِّيحُ فِي السَّفْحِ   هَبَّتْ عَلَى جُرْحِي ...
وَرَفْرَفَتْ نَوْحِي   شِعْرًا عَلَى الدَّوْحِ ...
كالرُّوحِ وَلْهانا
كالخَمْرِ سَكْرَانا
كالطَّيْرِ غَنَّانا
وَقالَ : يا « نانا »
إني مِنَ الغَيْبِ   حُمِّلْتُ مِنْ رَبِّي
لِلْمُذْنِبِ الصَّبِّ   أنشُودَةَ الْحُبِّ

* * *

اللَّيْــلُ يا « نانا »   وَالرِّيحُ يا « نانا »
سِرَّانِ مِنْ قَلْبِي

* * *

أقبلْتُ حَــيْرَانا   كالْجُرْحِ أَنْسِيَانا
كاللَّيْــلِ دَجْوَانا   كالرِّيحِ إِرْنانا
وَعُدْتُ يا « نانا »
هَيْمانَ ... حَيْرانا
لِشاطِئِ الْحُبِّ ! !

محمود حسن اسماعيل



حول أبعاد الحيز

كون رباعي الأبعاد

[إلى أستاذي جوداق أهدي هذه الفصول]

للأستاذ خليل السالم

— ٣ —

أبنّا في المقال السابق بعض الخصائص التي يلتقي عندها الزمان والمكان، والتي سمحت لنا أن نعتبر الأول بعداً رابعاً، وسنحاول هنا أن نذكر أهم خصائص كون ذي أربعة أبعاد سواء كان هذا البعد الرابع زماناً أو مكاناً. ورب من يستغرب كيف يمكن أن يكون المكان ذا أربعة أو خمسة أبعاد إلى ما لا نهاية من الأبعاد. فنحن لا ننتهي من بدعة الزمان كبعد رابع، تلك البدعة التي لا يقبلها الحس والتصور، حتى تأتينا بدعة أكثر هجنة وغرابة، هي أن يكون المكان كثير الأبعاد. على أنني لا أقصد أن أتحول عن خطتي لأشرح هذه الفكرة الجديدة، فربما نحاول في فرصة قريبة تبسيطها وعرضها على القراء إلا أنني أعطي المثال البسيط التالي لأزيل قليلاً من حيرة القارئ.

فهو يعلم مهما بلغ ضآلة ثقافته الرياضية أن النقطة الهندسية إذا تحركت رسمت خطاً هندسياً طوله المسافة التي تحركتها تلك النقطة، وهذا الخط المستقيم ذو بعد واحد، لأن للنقطة مجال حرية الحركة في اتجاه واحد فقط، وإذا تحرك هذا الخط الهندسي في اتجاه علوي على طوله بعداً يساوي طوله نتج المربع، وهو مستو ذو بعدين، لأن النقطة تجد مجال الحركة واسعاً أمامها في اتجاهين، أو لأن مكان النقطة يتعين ببعدين اثنين عن أضلاع مربع، وإذا تحرك المربع في اتجاه علوي لمستوى مسافة تعادل طول ضلعه نتج المكعب، وهو حجم ذو ثلاثة أبعاد. يقف تصورنا عند هذا الحد. أما التحليل الرياضي، فلا يقف هنا، فبنفس الطريقة المنطقية السالفة، نتصور المكعب متحركا في اتجاه عمودي على متعامداته الثلاثة مسافة تساوي ضلعه فينتج فوق المكعب Hypercube[1] ذو أربعة أبعاد، وإذا تحرك هذا نتج فوق المكعب ذو خمسة أبعاد، والعملية تتسع لعدد لا متناه من التكرار

ولعل القارئ يذكر أننا نحول القوة الأولى (س) إلى خط مستقيم، والقوة الثانية (س ٢) إلى مربع، والقوة الثالثة (س ٣) إلى مكعب، فيجب أن يستمر القياس إلى (س ٤) فنحولها إلى جسم في أربعة أبعاد وإلى (س ن) فنحولها إلى جسم عدد أبعاده (ن). ولا أرى من الضروري أن أعيد ما ذكرت في البحث السابق من أن تصور مثل هذه الأجسام مستحيل. على أن الدكتور كايزر C. J. Keyser وهو علم من أعلام فلسفة الرياضيات يقول: إذا لم يكن لهذه الأجسام وجود في البصيرة فلها وجود في التفكير، وإذا لم يكن في الحس فهو في العقل، وإذا لم يكن في المادة فهو في الفكر، وهو لا يكتفي بهذا فيقول في كتابه « Thinking Human Worth of Rigorous »: لقد أتمنى التأمل بأن حيزاً أبعاده أربعة أو أكثر له من خصائص الوجود مثل ما للفضاء الهندسي العادي

وقبل أن نعرض لتلك الخصائص نود ذكر بعض الظواهر الطبيعية التي استخدم في تفسيرها البعد الرابع وكان أسهل مما تبناه العلماء من تعاليل وفروض من فروض. ولا أراني في حاجة للقول بأن نظرية النسبية التي فسرت أكثر الظواهر الطبيعية المعقدة المويصة لا تدخل ضمن نطاق هذا الشرح

هناك نوعان من حامض الطرطريك (ك$_{١٤}$ يد$_{١٠}$ أ$_{٩}$) Tartaric Acid. يشبه أحدهما الآخر كأنه صورته في المرآة ويتحول أحد هذين النوعين إلى النوع الآخر دون حدوث تفاعل كيماوي يفسر هذا التحول بأنه تحرك نوع واحد في البعد الرابع في اتجاهين متضادين

ونجد نفس الظاهرة في سكر العنب (دكسترو Dextro ك$_{٦}$ يد$_{١٢}$، أ$_{٦}$) وسكر الفواكه (ليفيلوز Levulose ك$_{٦}$ يد$_{١٢}$ أ$_{٦}$) وهما نوعان من السكر موجودان في العسل متشابهان

---

(١) لم أر فيما وقع تحت يدي من الكتابات العربية ترجمة لهذه الكلمة، ولا أدري إذا كانت ستلقى هذه الترجمة رضى في نفوس المشتغلين بهذا الموضوع.

فى التركيب الكيماوى ولكن أحدهما معكوس الآخر إذا ما فحص تحت الضوء المستقطب Light Polaized وإذا تصورنا تحرك ذراتهما فى البعد الرابع أمكننا أن نعلل سبب اختلافهما

ومن العجب حقاً أن نجد نفس الظاهرة فى نوع من الحلازين فبعضها ملتو إلى اليمين والبعض الآخر ملتو إلى اليسار كأن أحد النوعين صورة فى المرآة للنوع الآخر . ليس هذا فحسب ، وإنما تبدى عصارة كل منهما ما يبديه نوعا السكر من أن إحدى العصارتين تظهر تحت الضوء المستقطب عكس العصارة الأخرى . وقد أشار هنتون Hinton وهو من المشتغلين بمثل هذه الأبحاث أن التيار الكهربائى يمكن شرحه كتموجات فى البعد الرابع

والآن ما هى أهم خصائص كون ذى أربعة أبعاد ؟

هناك ثلاث خصائص رئيسية :

١ — إذا تحرك جسم ذو أربعة أبعاد فإن قطعه الذى يبدو لعالم ثلاثى الأبعاد يتغير فى الجسم والشكل وهذه ظاهرة « انكماش فتزجيرلد » ، وقد عمد العلماء إلى تعليل هذه الظاهرة بأن كهارب المادة إذا تحركت بسرعة كبيرة فى الفضاء تتمغنط فيجذب بعضها بعضاً ، وينتج عن هذا الجذب التقلص أو الانكماش طبقاً لقانون فتزجيرلد الذى ذكرناه فى البحث الماضى

$$\text{ت} = \frac{1}{\sqrt{1 - \frac{\text{س}^2}{\text{ن}^2}}}$$

ت = تقلص
س = سرعة الجسم
ن = سرعة النور

٢ — يجب أن يتسنى لجسم أن يدخل مكاناً مغلقاً عن طريق البعد الرابع دون أن يمس أضلاع المكان الثلاثة كما يتسنى أن تضع نقطة فى مربع دون أن تمس أضلاعه . ومن هذا يتبين أنه لو استطاع اللصوص مثلاً أن يتحركوا فى البعد الرابع لما أغنت الصناديق الحديدية فتيلاً ، لأنه يمكن سحب الأموال والجواهر المخزونة دون فتح الصناديق . وكذلك يستطيع أن تشرب زجاجة الكازوزة دون فتحها ، وتأكل البيضة دون كسر قشرتها ، ويمكن لنقطة فى مركز الكرة أن تتركها دون أن تمس سطح الكرة . ولا تزيد العقد فى البعد الرابع عن نشطات . وتسقط حلقات سلسلة فولاذية منفصلة عن بعضها من تلقاء نفسها . والأجسام المتشابهة يمكن توجيهها بحيث ينطبق بعضها على بعض تمام الانطباق فى البعد الرابع : فالجانب الأيمن يصبح الجانب الأيسر ، كأنه صورة فى المرآة ، نستطيع فى البعد الرابع أن نجد خمس نقاط متساوية الأبعاد عن بعضها . الدوران فى مستوى حول نقطة ، وفى الفضاء حول خط ، وفى كون رباعى الأبعاد حول مستوى

كان يمكن أن يحصل هذا فى عالمنا لولا قانون حفظ الطاقة والكتلة ؛ على أننا نستطيع أن نقول إن هذا يمكن أن يحدث فى عالمنا ولكنه لا يحدث

٣ — يجب أن نستطيع رؤية داخل الأشياء مهما بلغت سماكتها وكثافتها عن طريق البعد الرابع ، كما نستطيع رؤية داخل مربع بالإشراف عليه من أعلى . على أن هذا لا يحدث فى عالمنا ، ويقدم أدنجتون Sir A. Eddington تعليلاً بسيطاً لعدم الحدوث . لما كان عالمنا رباعى الأبعاد — لا حاجة بى إلى القول أن أدنجتون من أنصار ناموس النسبية — فلكى يصح القياس يجب أن نشرف على الجسم الجامد من كون خماسى الأبعاد حتى نستطيع أن نراه ؛ لأن أبعاد الجسم المرئى يجب أن تكون أقل ببعد واحد من أبعاد الكون الذى نراه فيه

لا أحب أن أترك البحث دون أن أشير إلى ناحية طريفة فى الموضوع تتعلق بإيمان بعضهم بالخلود والأبدية كانغماس فى البعد الرابع ، فنحن نسير مع الزمن حتى إذا ألم بنا عارض وقف سيرنا هذا وتأخرنا فى الماضى ؛ وتأخرنا هذا هو الموت ؛ ولا يعنى هذا الموت أننا نصير إلى العدم وإنما نبقى فى البعد الرابع أحياء أحراراً ؛ ولذا كان البعد الرابع الطريق الذى تظهر به الأرواح لعالمنا ، وكان البعد الرابع التفسير الذى تمسك به المشتغلون بالروحانيات وانتقال الأفكار وعلم الغيب والتصوف . وإذا كان هناك رجل يجب أن يلام على انتشار مثل هذه الأفكار فهو زولنر Zollner وكان أستاذ علم الفلك الطبيعى فى ليبزج . ففى السنتين ١٨٧٧ ، ١٨٧٨ نزل الوسيط الأمريكى سليد Slade إنكلترا وتنقل فى أنحاء القارة الأوربية يعرض أعماله السحرية العجيبة ، يدخل الأجسام بعضها ببعض ويعقد ويحل عقداً فى سلسلة ليس لها من نهاية . والخلاصة أنه

كان يسحر الجمهور ويدهشه بألاعيبه. وقد قدر لزولنر هذا أن يجلس مع سليد نحو ثلاثين جلسة خرج منها معتقداً أقوى الاعتقاد أننا نعيش في عالم مغمور في كون رباعي الأبعاد، وأن البعد الرابع مسكن الأرواح التي تظهر بين حين وآخر وتؤثر في حياة سكان الأرض

وقد بلغ من زولنر الوهم حتى صرح أنه في إحدى الجلسات «صافح صديقاً من ذلك العالم الآخر»

على أن السلطات لم تترك سليد حراً، فقد ألقي عليه القبض في انكلترا وحكم عليه بالإعدام، إلا أن زولنر أبى إلا أن يرى سليد بريئاً «وقد قضى ضحية جهل القضاة والمتهمين»، ولقد كان زولنر كاتباً بليغاً، فلا عجب إن وجدت آراؤه انتشاراً واسعاً، ولا عجب إن آمن بها الكثيرون.

(الجامعة الأمريكية — بيروت) خليل السالم

البريد الأدبي

عبد القادر حمزة باشا في ذمة الله

في الساعة السادسة من صباح يوم الجمعة السادس من شهر يونية سنة ١٩٤١ خلا مكان عميد الصحافة وفقيد الأدب الأستاذ عبد القادر حمزة باشا وهو في الثالثة والستين من عمره الحافل الخصب. (وخلا مكانه) تعبير صادق عن وفاة صاحب البلاغ؛ فإن الأخلاق والمواهب التي كونته قلما تجتمع إلا للأحدين الذين يتعاقبون على الحياة على فترات بعيدة. ولقد بلغ ما بلغ من رفيع المنزلة وبُعد الصوت بحسن استعداده وطول اجتهاده، فلم يتكئ في جهاده المادي أو الأدبي على سند من أسرة أو ثروة أو وظيفة؛ وهو في ذلك أحد الأفذاذ الذين شقوا طريقهم الوعر بسن القلم؛ وقلمه في يده كان كالمبضع في يد الجراح الماهر: لا يشق إلا بتقدير، ولا يقطع إلا بقَدَر. ولم يتميز من الأساليب الصحفية غير أسلوبه وأسلوب لطفي السيد باشا من قبل: تميزاً بالإيجاز والإشراق والطلاوة والمنطق، وبرئاً مما يجره الصحافة على كاتبها من ضرورة الثرثرة واللغو

عالج المرحوم عبد القادر حمزة باشا المحاماة في مقتبل عمره؛ ثم دفعته الظروف بمعونة ميله الفطري إلى الصحافة فبرز فيها تبرزاً لا يتهيأ إلا لأصحاب الملكات القوية؛ وكان مما ساعد على هذا التبرز طريقته الواضحة في الجدل، ومذهبه المفيد في النقد، ونظرته الثاقبة في الأدب، ورجولته المنيدة في الخصومة. وكان للفقيد الكريم مشاركة في أنواع الأدب ولا سيما التاريخ والترجمة. ولسنا اليوم بصدد الكلام عن مكانته في الأدب وأثره في السياسة؛ إنما هي إشارة تدل على عظم المصاب فيه وصعوبة العزاء عنه. برد الله ثراه بالرحمة، وعوض منه أسرته وأمته خير العوض

لقد نفذ الأستاذ المراغي الإصلاح

تعرض «عالم» في «الرسالة» الغراء لما حسب أنه «الحوائل» التي اعترضت سبيل الإصلاح الأزهري على النحو الذي وضحه الأستاذ الإمام المراغي في مذكرته القيمة الجليلة القدر التي أنتجها في عهد ولايته الأولى على الأزهر

وما من شك في أن «الحوائل» التي سجلها صاحب الفضيلة «العالم» في كلمته حقيقة أن تثير الدهش والعجب، لأنه فهم من منهاج الأستاذ الأكبر في الإصلاح أنه قضاء مبرم على كتب الأزهر وتراثه الثقافي جميعاً، على حين يفهم كل أحد أن فكرة «الاجتهاد» التي يدعو إليها الأستاذ الأكبر ليست هي القضاء على «جميع» ما تضمه كتب الأزهر بين دفتيها، وإنما هي ترمي إلى «تنقية» هذه الكتب وتصفيتها وتجويد عرضها من ناحية الأسلوب ومن نواح أخرى لا ينكرها المتدين المتعمق متى أخذها بالتفكير الدقيق. ولقد فعل الأستاذ الإمام المراغي في ذلك كثيراً، فلم ينكر عليه أحد ما فعل، وإنما أيده الأزهريون القدامى والمحدثون فيما اضطلع به من التجديد الذي استمد مادته من كتاب الله وسنة نبيه الكريم، في موضوع الطلاق، وفي موضوع الهبة والتوريث؛ وإنما أيده أولئك وأولئك في منهاجه الحكيم المحكم الدقيق الذي عرفه له العالم الإسلامي في تفسيره لطائفة من سور القرآن الكريم

والأستاذ الأكبر حين ظفر بكل هذا التأييد في إنتاجه الذي هو إصلاح بالغ، إنما وضع الأساس لأمثال صاحب

الفضيلة « العالم » الكاتب حتى ينهجوا نهجه ، وحتى ينفقوا أوقاتهم كلها فى السير على منواله ، فإصلاحه من هذه الناحية حقيقة لقيت وجودها تحت الشمس . وهو فى عهده الآن بالأزهر لم يلاق كثرة الأزهريين ولا قلتهم ، لسبب بسيط ، هو أن إصلاحه ماض فى طريقه بالخطوة الوئيدة ، ماض إلى هدفه بالرمية السديدة ، أما العناية الأزهرية بالوظائف وما إليها ، فهذه حكاية أقحمها العالم الجليل على موضوع لا صلة له بالبحث الذى نحن بصدده ، لا من قريب ولا من بعيد ، ونحسب أن الرد عليها يكون طريفاً حقاً لو تفضل العالم الكاتب وقال لنا من يكون ؟

« القاهرة » كمال عبد الآخر

رسالة الأزهر

للأزهر رسالة واضحة كل الوضوح ، كما أنها ثقيلة لا ينهض بها إلا رجال أكفاء قد وهبوا أنفسهم لله ووقفوا حياتهم على أمتهم .

وحسبنا لنعرف هذه الرسالة أن ننظر إلى رجال الدين المسيحى ونوازن بين ما يعملون وما يعمله رجال الدين الإسلامى لنرجع من هذه الموازنة والكرب يكاد يقتلنا على تقصير رجال الدين الإسلامى وإهمالهم وضعفهم ونقصهم

إعداد رجال الدين المسيحى

لأجل أن يصير الشاب المسيحى قسيساً لا بد له أن يدرس دراسة طويلة شاقة ، وأن يزود بألوان من المعارف لا يظفر بمثلها غيره ممن يعدون أنفسهم لأى نوع من الحرف الدقيقة الخطيرة ، كالطب والقضاء والهندسة وغير ذلك - ويؤخذ بضروب من الرياضة البدنية والروحية ، ويصقل صقلاً يجعله بعد ذلك متميزاً عن غيره صالحاً لأداء مهمته الشاقة أحسن أداء . يقضى مدة دراسته تحت حراسة يقظة ورقابة دقيقة ورعاية كريمة وإرشاد متواصل وتوجيه سام وتدريب شاق ورياضة طويلة ، حتى يصير رجلاً نموذجياً فى جسمه وعقله وخلقه وذوقه وعاداته وأكله وشربه ونومه وغير ذلك من كل ما يدخل تحت النقد والتكوين

فأين هذا مما يلقى طلاب الأزهر من الإهمال والتضييع

١ — مناهج قد ازدحمت بكل معاد ثقيل لا فائدة منه

٢ — سنة دراسية يضيع أكثر من نصفها فى العطلات

٣ — يترك الطلبة يسكنون فى مساكن غير صحية وفى أحياء قذرة ويتعرضون لآفات خلقية وجسمية ومتاعب معاشية وأضرار لا يجهلها أحد ممن عرف الأزهر والأزهريين

٤ — نقص كبير فى المناهج

رسالة المتخرجين فى الأزهر

والآن فلنوازن بين ما يعمله رجل الدين المسيحى وبين ما يعمله المتخرج فى الأزهر : رجل الدين المسيحى يتخرج فيجد أمامه عملاً جليلاً ثقيلاً يحتاج إلى مثل أعمار النسور وهمة الجن ودأب النمل : يشتغل راعياً فى كنيسة ، فيدرس الحى الذى يعمل فيه دراسة دقيقة شاملة ، ويتصل بكل من فيه من أبناء ملته ، ويكون وسيلة للتعارف والتآليف بينهم ، وهو فى كل ذلك محتفظ بكرامته ومكانته ، وذلك لما توفر عنده من اللباقة والإخلاص ، ويعمل على تأسيس جمعيات عملية لا قولية تقوم بجمع الصدقات وتأسيس المدارس وإقامة الشافى والصلح بين المتخاصمين والتأليف بين الزوجين ، وهو فى كل ذلك الرأس المدبر واليد العاملة والقلب الخافق الحى ، ولن يفشل فى أى مشروع يحاوله أبداً لأن الإخلاص سائقه والعزم حليفه والله رائده ؛ فتجد الكنيسة إذا ما استقرت فى مكان صارت مصدر هداية وإرشاد وعمران ووفاق ويسر لأبنائها الملتفين حولها جميعاً ، والفضل فى كل ذلك لرجل الدين الذى أعد لهذا العمل الجليل إعداداً حسناً ، تجده حركة دائبة لا يستقر ولا يهدأ ؛ إذا رأيته أشفقت عليه من كثرة العمل وطول الإجهاد ، فهو آناً عند مريض يعوده ، أو عند فقير يحمل له صدقة أخذها فى السر من غنى ، أو عند غنى يعظه برفق ويغريه على نفع أبناء ملته ، أو عند أسرة يوفق بين أفرادها . يؤسسون المدارس الكبرى والمعاهد العليا والكليات العظمى ، ويجمعون لها التبرعات غير يائسين ولا متضجرين ، ويقيمونها صروحاً شاهقة ، ويمدون أبناء ملتهم لحياة ناجحة ، فيزودونهم بالثقافات المختلفة الدينية والعمرانية التى تؤهلهم للنجاح فى الحياة ؛ وطف بمصر لترى معاهدهم لم تجذب إليها أبناء المسيحيين فقط ، بل جذبت أيضاً أبناء المسلمين ، لما شوهد على متخرجيها من دلائل النجح والتهذيب والتميز ، وهذه معاهد الآباء اليسوعيين « الجزويت » ، والأخوة المسيحيين « الفرير » ، والراهبات وغيرها مما لا تخلو منه مدينة فى مصر والشرق

فأين هذا من مسجدنا وعالمنا وإمامنا . لا داعي للموازنة بعد ذلك فسنخرج بنتيجة محزنة

لقد قضى أستاذنا الزيات صدر شبابه أستاذاً بالمدارس الدينية المسيحية، وحبذا لو تناول وصفها بقلمه الساحر وناشد الأزهريين أن يتعلموا من هؤلاء الرجال المخلصين خدمة دينهم ومعرفة رسالتهم في الحياة؛ وعلى ضوء هذه الرسالة توضع المناهج ويؤسس الأزهر من جديد . زكي غانم

ليس هذا هو الطريق إلى الإصلاح

أضنانا السير والسرى ولم نقطع أرضاً ولم نقض مأرباً . أردنا أن نصل إلى نقطة ما فجعلناها مركز الدائرة ودرنا حولها في محيط ثابت . لنا الله فقد جاهدنا فأجهدنا أنفسنا ولم نتقدم من غايتنا باعاً أو ذراعاً، وأغلب الظن أننا سنعاود الكرة مرات إن طوعاً وإن كرهاً . سنمشي على أرجلنا أو على أيدينا أو على أربع، وسنزحف على بطوننا، وسنطير في الهواء أو نغوص في الماء؛ ولكننا لن ننحرف عن محيط الدائرة، ولن تتغير النتيجة أبداً

تعبنا وأضعنا الجهد هباء، لأن هذا ليس هو الطريق، ولأن هذه ليست هي الوسيلة

أردتم فيا أردتم تعليم الفلاح وتحسين صحته وتنظيم حياته ورفع مستواه، ووددتم منع البطالة والقضاء على الجرائم والاستجداء والخمر والميسر والإعراض عن الزواج والطلاق وتخنث الشبان وتهتك النساء وتبرجهن، وحاولتم مكافحة الأمراض السرية والعلنية، وبنيتم مطاعم وحمامات ومقاسل للشعب، ثم شرعتم في كسوة أقدام الفقراء بالأحذية، وستشرعون في إقامة منشآت لهم

أردتم مالا حصر له من الإصلاحات ولم توفقوا التوفيق المرتجى في أحدها، وإذا أنكرتم ذلك فهاتوا برهانكم، وإذا كنتم تقرون قولي فتعالوا نبحث العلة ونفهم المسببات .

إنكم مسلمون لأن دين الدولة الرسمي هو الإسلام . وإنكم تعلمون أن القرآن من عند الله ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه لم يحرف، وأنه صالح لكل الأزمنة ولن ينزل كتاب بعده .

ثم إنكم تعلمون أنه مهما سما تفكير الانسان وتدبيره، ومهما صح حكمه على الأشياء فلن يصل إلى درجة خالقه ولن يرقى لمرتبته في العلم . إذن فالقوانين التي نسنها لا يمكن بأية حال أن تكون أصلح من تلك التي وضعها لنا الله، فإذا أسلمتم بهذا أيضاً ولا إخالكم إلا مسلمين، أفليس من حسن التمييز أن نجرب السير على قوانين الله ولو لمدة محدودة كما سرنا على غيرها أعواماً من غير طائل ؟

إن هذا لا يكلفنا كثيراً، ولا يتطلب إلا أن تجند وزارة الشئون الاجتماعية ذلك الجيش من علماء الأزهر الشريف والمعاهد الدينية ليقوموا بما فرض الله عليهم . ليعلموا الناس دينهم وليفهموهم مثلا أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأنها أفضل أنواع الرياضة البدنية، وليبينوا لهم الحكمة في نظامها وكيفية أدائها وعدد ركعاتها وتحديد أوقاتها . ليعرفوهم أخلاق الرسول صلوات الله عليه وأخلاق الصحابة والتابعين، وليفهموهم حقوق الرجل على زوجه والمرأة على بعلها، وأن أكره الحلال عند الله الطلاق، وليشرحوا لهم أن بعض الذنوب لا يكفرها إلا السعي على الرزق، وجزاء المستجدي في الدنيا والآخرة، وما يلاقيه السكران في يومه وغده .

ثم نفذوا فيهم أحكام الدين بعد ذلك ولا تأخذكم بهم رحمة . ولا تعتقدوا أن أحكام الله قاسية فهو أرحم بكم منكم، فقطع يد السارق في حقيقتها أخف بكثير من سرقة يعقبها سجن، فسرقة يتبعها سجن، فسرقة يتلوها سجن، فسرقة في أثرها سجن؛ وهكذا دواليك . إنكم بعد ذلك لن تجدوا مجرماً ولا شارب خمر ولا لاعب ميسر ولا داعياً لفجور، ثم إنكم لن تلفوا مستجدياً ولا عاطلاً، ثم إنكم بعد ذلك ستجدون الجميع في صحة تامة وهناء متصل وتآخ أكيد .

(جزيرة ميت عقبة — امبابة) مصطفى اسماعيل ميرهم

مكتبة الحرم الشريف النبوي العامة

أسست حكومة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز الأول مكتبة عظيمة في الحرم الشريف أسمتها « مكتبة الحرم الشريف النبوي العامة بالمدينة المنورة » : جمعت فيها شتات الكتب المفرقة

فى مستودعات الحرم النبوى والمحكمة الشرعية الكبرى وكتب طوسون أحمد باشا وغيرها . وقدم لها جلالة الملك عبد العزيز الأول جميع مطبوعاته النفيسة ، كما تفضل فأمر بصنع عشر خزائن للكتب . وقدم لها الشيخ عبد الكريم المصرى الأزهرى ستة صناديق تحتوي على ثمانمائة مجلد . وساهم فى تأسيسها باهداء الكتب إليها سعادة السيد محمد بدوى بك المنصورى الأزهرى ، وسعادة الشيخ محمد سرور صبان وغيرهم .

وأعفت الحكومة السنية بريد المكتبة من الرسوم فى جميع أنحاء المملكة العربية السعودية كلها . وفى المكتبة الآن كتب فى التفسير والحديث والتوحيد والتجويد والقراءآت العشر والفقه الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى والنحو والصرف والمعانى والبيان والبديع والأدب والتاريخ والشعر وعلم الأصول والمصطلح وغير ذلك باللغات العربية والفارسية والهندية والتركية

وقد بلغ عدد المجلدات الموجودة الآن زهاء ثلاثة آلاف مجلد . وفى المكتبة قسم الصحافة للمجلات والجرائد العامة التى تهدى إليها

وفى المكتبة قسم مكتبة التلميذ لإعارة بعض الكتب العلمية للتلاميذ الفقراء على نظام مكتبة الأزهر الشريف بمصر وقد وردت لهذا القسم بعض المؤلفات المدرسية من مؤلفيها وغيرهم .

وقدم من هذا القسم الدكتور محمد عبد الغنى عزام مفتش صحة مركز المنصورة بالديار المصرية فقدم لإدارة المكتبة مقداراً من النقود لشراء بعض الكتب العلمية النافعة المفيدة لهذا القسم .

وفى المكتبة ورشة تجليد فنية لتجليد كتبها المحتاجة للتجليد .

وقد أهدى بعض أهل الخير لهذه الورشة بعض الآلات والأدوات

وقد عينت الحكومة السنية العربية السعودية الأستاذ أحمد يس الخيارى الأزهرى من علماء الحرم الشريف النبوى وقرائه ومدير مدرسة التجويد والقراءآت بالمدينة المنورة مديراً رسمياً لهذه المكتبة العلمية العامة مستقلاً فى جميع أعمالها الداخلية والخارجية .

والمكتبة الآن فى حاجة إلى التشجيع مادياً بالنقود وأدبياً بالكتب والرسائل والمجلات والجرائد والخزائن والآلات والأدوات والأثاث من أفراد العالم الاسلامى . لأنها فى داخل الحرم النبوى ومنسوبة إليه وعائدة له . والمخابرة فى كل ما يخصها تكون باسم مديرها . والله يتولى التوفيق

مدير مكتبة الحرم النبوى الشريف العامة

تحذير ورجاء

يعلن كمال مصطفى مؤلف كتاب « الصحافة والأدب فى مائة يوم » أن بعض الأشخاص قد اختلسوا كثيراً من نسخ الكتاب وبددوها ، وعمد أحدهم إلى تغيير الإسم ووضع بدله اسم « على ماهر باشا المثل الأعلى للوطنية والصحافة والأدب » ، واتخذ هذا سبيلاً للنصب والاحتيال ، وتتولى النيابة التحقيق الآن

فيرجو المؤلف كل من يقدم إليه الكتاب بالاسم المنتحل : « على ماهر باشا المثل الأعلى ... » ، أو بأى اسم آخر ، أو بالاسم الأصلى : « الصحافة والأدب فى مائة يوم » ، وغير مختوم بخاتم المؤلف أن يتفضل بالاتصال به بوزارة الداخلية وأن يمتنع عن دفع الثمن وله عظيم الشكر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)